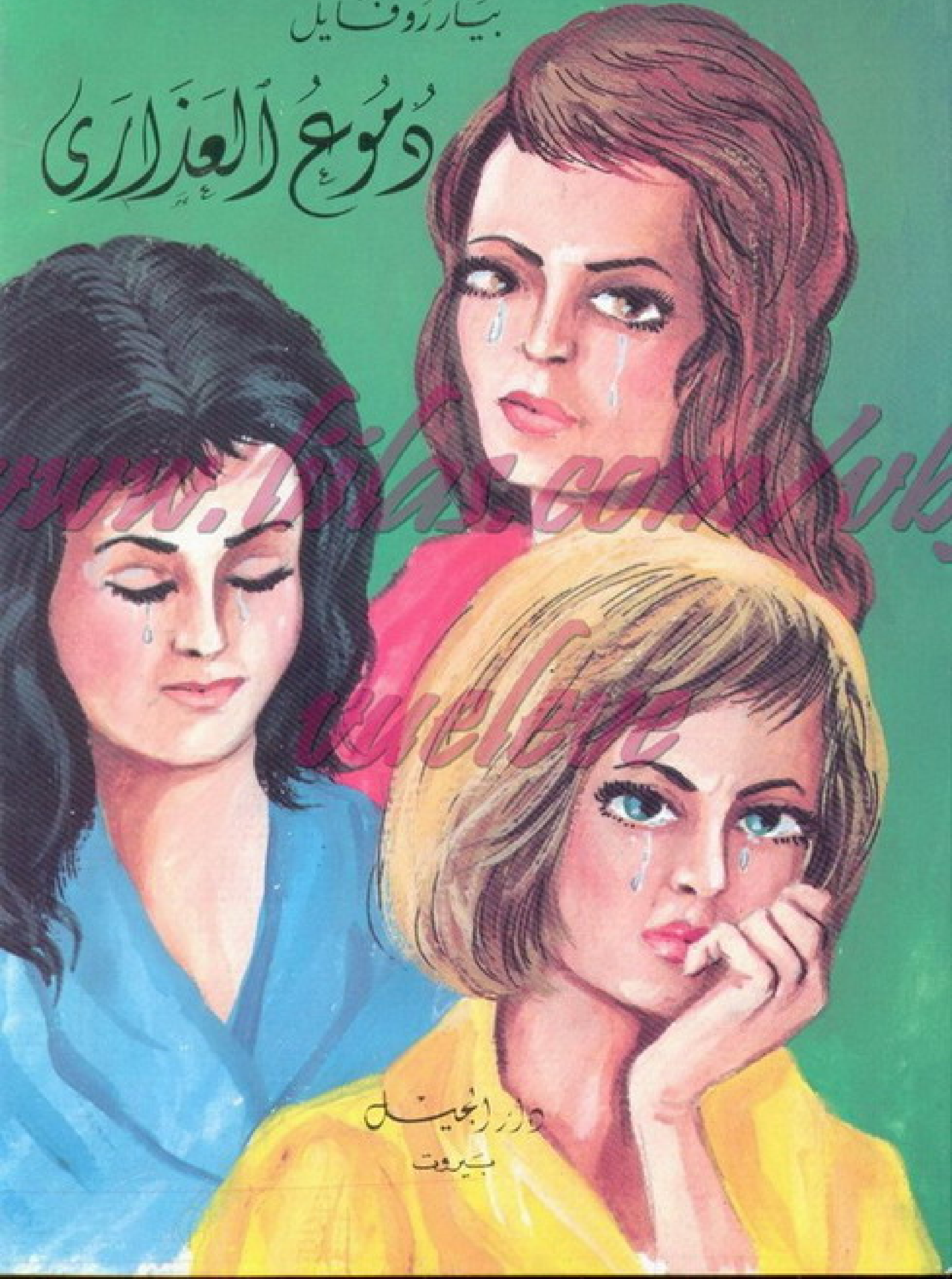
بيار روفايل

# دموع العذارى



دار الجيل
بيروت

## دموع العذارى!



دموع مقدسة.. إنها نار وغضب.. نور وعشق.. قوة وضعف.

ولعلَّ أغلى الدموع هي دموع العذارى.

إنَّ الله سبحانه وتعالى يحصي دموع العذارى كي يعاقب بها اولئك الذين كانوا السبب في انسكابها.



وما هذه القصة سوى قصة دموع العذارى الغالية الثمينة. الدموع التي تشعل الحب وتخمد الأشواق.

دار الجيل
بيروت

# مقدّمة

« ان الله سبحانه وتعالى . يحصي دموع العذارى كي يعاقب بها اولئك الذين كانوا السبب في انسكابها » .

وكل دمعة حمراء تسكبها عذراء تتحول إلى نار لاهبة ، تحرق قلب من كان سبب انحدار تلك الدمعة المحرقة .

وما الدموع سوى عبير الروح واريجها ، تموج في العيون لتعبر خلالها عن ألم الروح ، واحياناً كثيرة تعبر تلك الدموع عن فرح الروح وبهجتها وحنينها .

مقدسة هي الدموع ،

انها نار وغيث

نور وغمام

قوة وضعف

والعين التي لا تعرف الدمع لا تستطيع ان ترى ما وراء الأثير ، ولا هي تستطيع ان تنعم بالنور ولا ان تكتحل بالضياء .

ايتها الدموع ! .. مباركة انت في قلوبنا وفي أرواحنا وفي مآقينا .

وانت يا رب ، ايها العظيم لا تحرمنا من لذة الدمع ولا تضن علينا بمرارة قطرات مآقينا ولا بحلاوتها ، فما دموعنـــا يا رب سوى صلاة أرواحنا نرفعها إلى عزتك حاملة إلى عرشك كل ما في قلوبنا من عاطفة وشوق وحب وحنين .



# ١

دقت الأجراس ، أجراس العيد الزاهر الزاهي السعيد .

العيد الذي يطل بوجهه الوضاح مرة كل عام ليزيد أبناء السعد سعادة ، ويزيـــد التعساء تعاسة وبؤسا .

وانصرف المعيدون للأحتفال بالعيد البهيـــج كل على طريقته الخاصة .

وارتدت الحانات والملاهي والقصور حـــلة العيد الناصعة البياض ، وانغمس القوم في الأفراح والبهجة والسرور والملذات يغرفون منها بنهم وجشع ولا يرتوون . فكأن العيـــد سكرة حمراء أو هو غمرة من أفراح فاتنة ، محمومة ملتهبة الأنفاس .

وجبال لبنان ووديانه وتلاله سكرت بخمرة العيد البهيج ؛ ورنحت أعطافها للنشوة الغامرة حناياها . فما هناك سوى أجراس تقرع فيذهب صداها العميق أطيافاً مجنحة في التلال والجبال

والوديان. وقصور تتهادى بنشوة الرقص أنوارها المتلألئة الزاهية على انغام العيد الضاحك الهازئ، المجنون .

أما في الأكواخ ، الاكواخ الجاثمة ، أمام القصور ، كالعبيد في محافل الأسياد، فما هناك سوى دموع وآلام وأسى وشجون. ما هناك ، في الاكواخ سوى غصة ولوعة وألم .

ومن يدري ؟ .. لعل صاحب العيد يستطيب الحلول بين أبناء الدموع والآلام والأشجان ، لعله يجعل من تلك الاكواخ الحقيرة الواهية ، المتداعية الجدران، قصوراً ينزل فيها ، ويحتل أرجاءها على الرحب والسعة .

لمن العيد ؟ .

العيد للجميع

العيد للفقراء فقراً

وللأغنياء غنى

يزيد الفرح فرحاً في قلوب الفارحين

ويزيد الغصة غصة في نفوس المتألمين، والدموع دمعاً في عيونهم .

الفقراء لهم أعيادهم ..

واعياد هؤلاء تختلف كل الاختلاف عن أولئك .

الفقير الفقير هو ذاك الذي يعيش في الحياة مكبلاً بقيود ضميره القاتم السواد .





أما الغني في الحياة فهو ذاك الذي يجعل من ضميره اهراء للأطمئنان ، ومن نفسه الخالدة ينبوعاً صافياً ينعكس عليه وجه الخالق الأوحد الجبار .

وهطلت الثلوج مكللة قمم لبنان وتلاله بأكليل ناصع البياض ، وناسجة لوديانه ووهاده السكري ، النشوي، وشاحاً من النور الواهي الطهور ، وغامرة سفوحه وتلاله بالوحي والبهاء .

وهناك ، في قصر شامخ منيف ، يجثم كالنسر فوق رابية وادعة هانئة تحول من روابي لبنان الخاشعة أمام وجه الله جلست فتاة تكاد تودع عهد الشباب ، انها في زهاء الاربعين في العمر ، جلست قرب الموقد النحاسي الأصفر اللون المتأجج الجمر تصطلي ، وتنظر من خلال الزجاج ، زجاج النافذة المغمور بالندى ، إلى الافق البعيد وتفكر ، تفكر وتغرق في ذكرياتها السحيقة البعيدة العميقة القرار .

وهاجتها الذكريات .

وعبث الحنين بفؤادها الذاوي فأثار الدموع في مقلتيها النجلاوين لتسكب على وجنتيها لؤلؤاً صافياً كتلك الثلوج الغامرة الروابي الناتئة والتلال البيضاء .

وبالرغم من السنوات البعيدة الجاثمة على عاتقها فقد كانت تلك الفتاة تحتفظ بالكثير من جمال الشباب ونضارته وبهائه

الا انه جمال حزين كئيب ، جريح ، ملتاع .

ومن خلال ذكرياتها ، ومع دموعها الحرقة تمتمت الفتـــاة كلمات خافتة : « منذ عشرين سنة ، في مثل هذه الليلة المقدسة ، ليلة العيد ، كان هنا .. أين يا رب ، تراه الان ؟ » .

وازدادت الدموع انسكاباً على وجنتيها الجميلتين .

وانغمست في ذكرياتها الدامية الحرقة .

وبدأت تستعيد في مخيلتها تلك الأيام ، الجميلة ، السعيدة ، الآفلة التي طواها الزمن ، وطوى معها آمالها وأحلامها وأمانيها البكر العذاب .

وعادت بالذكريات إلى الوراء من عمرها ، إلى عشرين سنة .

فتذكرت ..

تذكرت كل شيء ..

وبدأت صور الماضي البعيد تمر أمام عينيها النجلاوين من خلال دموعها عبر الذكريات .

فتذكرت كل شيء ..

كان هذا القصر ، الشامخ المنيف ، منذ عشرين سنة مليئاً بالخدم .

كان هناك والدها ، ووالدتها ، اللذان رحلا عن هذا العالم ، وكانت هي السبب في رحيلها قبل موعد القطار ، قطار الموت ، المخيف الرهيب .



وكان هو هنا ..

كان يجلس قريباً منها قرب هذا الموقد ، فيبعث الآمال إلى قلبها الندي والاحلام إلى روحها الطاهرة النقية .

لقد كان القبس الذي تعلقت به عيناها الجميلتان .

وكانت تنتظر يوم العرس . فهو خطيبها ، وهي تحبه ، وهو يحبها ، وقد تواعدا على الحب ، والوفاء ، والزواج .

كان يبتسم لها .. ابتسامته الحلوة ما زالت تلوح أمامها الان عبر السنين العشرين .

وبنت يومذاك القصور الشاهقة .

بنت قصوراً في الهواء .

الا ان تلك القصور ذهبت هباء منثوراً في مجاهل الفضـــاء الواسع الأرجاء .

واستغرقت في البكاء ، ومضت الدموع في الانســكاب على الخدين الأسمرين الجميلين ، وهي تستعيد ذكرياتها الدامية ، الملأى بالحب والهوى والحنين ، المغمورة بالاشجـــان والآلام واللوعة والغصة والدموع .

ومضت « هدى نواف » في استعادة الذكريات .

فتذكرت يوم تعرفت إلى حبيبها « فؤاد منصور » منذ أكثر من عشرين سنة .

وفؤاد منصور كان موظفاً كبيراً في احد المصارف الكبرى

المنتشرة في العاصمة اللبنانية والتي تطبق على ثروات المقيمين من اللبنانيين والمغتربين وعلى ثروات بعض ابنـــاء الدول العربية الشقيقة .

اما هي ، هدى نواف ،فهي ابنة الثري الكبير سعيد نواف.

ووالدها ، سعيد نواف رجل تجاوز الستين من العمر ، إلا انه يبدو وكأنه تجاوز السبعين . فالكارثة التي نزلت به هدت بنانه ودفعت به في طريق الشيخوخة على سرعة وعجل .

وهي كارثة كبرى ، فقد فجعه القدر بصرع ابنه نجيب .

كان شقيقها نجيب ملء الحياة ، كان شابا قويا جميلا وسيما ، يرى الدنيا كلها فرحا وبهجة وسعادة وهناء .

وكان والده سعيد نواف يعقد عليه الآمال العذاب .

ولم يكن سعيد نواف ليرد لأبنه نجيب طلبا ، ما على نجيب الا ان يطلب حتى يلبي والده الطلب .

وكان سعيد نواف يأمل ان يجعل من ابنه نجيب محاميا لامعا فدفع به إلى معهد الحقوق يتلقى فيه علوم الدفاع ويتوغل في مجاهل التشريع والعدل والقضاء .

وتفوق نجيب نواف في معهد الحقوق على رفاقه الطـــلاب واحتل منهم مكان الصدارة ، فأحبه أساتذته وتوسموا فيه النباهة والنبوغ . هذا الفتى سيصبح يوما محاميا لامعا تصفق له المنابر وتبتهج لبلاغته ساحة القضاء .



وارتاح سعيد نواف واطمأن وهو يرى ابنه في مقدمة الناجحين في معهد الحقوق ، وتباهى بالأبن المتفوق ، وأعلن بين بني قومه متعاليا متباهيا : هذا الشبل من ذاك الأسد .

وأقام سعيد نواف يرقب فوز ابنه نجيب ببراءة الحقوق بفارغ صبر : غدا يوم يفوز نجيب بـــبراءة الحقوق سينشىء له والده مكتبا فخما أنيقـا ، وسيزدحم مكتب المحامي نجيب نواف بالزبائن المتقاضين ، المظلومين وسيدافع المحامي اللامع عن اولئك المظلومين في المحاكم ويعيد لكل صاحب حق حقه السليب .

وراح سعيد نواف يبني الأحلام العذاب ، ويستعرض بعين الخيال البعيد مستقبل ابنه الباسم الزاهر الزاهي ، وقد جهل ان أماني البشر وأحلامهم كالسراب البعيد ، وهي كالضباب تلوح لنا فاتنة رائعة ، باسمة ، قريبة المنال ، حتى اذا مددنا أيدينا لالتقاطها والتمسك بها أفلتت من أيدينا وقبضت تلك الايدي على الهواء .

فالله ، سبحانه وتعالى ، لا يحقق من أماني البشر الا القليل القليل ، وكل ما نبني من الاماني والأحلام تهدمه الايام ، وتبعثره الليالي وتذريه الرياح في الفضاء الواسع الرحيب .

وأماني سعيد نواف وأحلامه لم تتحقق ، ولم يفرح قلبه بابنه نجيب ، ولا هو رآه واقفا في ساحة القضاء يدافع عن البائسين المظلومين ، بل هو رآه مسجيا على فراش الموت .

كل حساب حسبه سعيد نواف الا هذا الحساب ، فهو لم يفكر ولم يستطع ان يفكر ولا ان يتصور انه سيشاهد نجيباً على ذاك الفراش يوماً .

الا ان ما لا نفكر به هو الذي يحدث لنا ، فسبحانك اللهم وليتبارك أسمك العظيم ولتكن مشيئتك مباركة مقدسة خالدة.

فبينما سعيد فواز ينتظر أن يفوز ابنه ببراءة الحقوق ، فيما يستعد لانشاء مكتب المحاماة للابن الحبيب حملوه اليه جثة هامدة. فقد تدهورت به السيارة الجديدة الانيقة الفخمة التي كان والده قد اشتراها له منذ أيام قليلة بناء على اقتراحه والحاحه . فقد طلب نجيب من والده ان يشتري له سيارة يقودها بنفسه ويتنقل بها من الجبل إلى بيروت .

وحاول والده صرفه عن هذه الرغبة الا ان نجيباً أصر .

وحاول سعيد نواف ان يسوف ويماطل ، فوعد ابنه بان يلبي طلبه ويشتري له السيارة المطلوبة يوم يفوز بالبراءة المرجوة الا ان الابن المدلل المفناج أصر وألح وقال: أنا بحاجة إلى السيارة الان يا والدي ، وقد تعلمت قيادة السيارة وحصلت على اجازة السوق ولست مضطراً إلى استئجار كل يوم سيارة للانتقال بها من هذا القصر في الجبل إلى الجامعة في بيروت .

ونزل سعيد نواف عند طلب الابن الحبيب وبعد تسويف ومماطلة ، رضي مرغماً بان يبتاع لنجيب السيارة ، وكأن قلبه



كان ينبئه بان هذه السيارة ستذهب يوماً بنجيب من القصر ولا تعود به اليه .

واطمأن طالب الحقوق النجيب وقد قبضت يداه على مقود السيارة ، وتباهى بها أمام رفاقه الطلاب ، وهي سيارة فخمة أنيقة ، بيضاء كالحمامة.

وراح نجيب نواف يتنقل بسيارته الفخمة ، من مدينة إلى مدينة ، ومن قرية إلى قرية ، ومن بلد إلى بلد ، وينقل معه زملاءه وزميلاته الطلاب والطالبات .

وكان للطالبة سعاد جبران نصيب وافر راجح من سيارة نجيب نواف .

وسعاد طالبة في معهد الحقوق ، وهي ابنة محام كبير على قسط وافر من الثراء والاناقة والجمال ، رأت في زميلها نجيب نواف فارس الأحلام ورأى فيها نجيب نواف الأمل الباسم المنشود .

ويوم تسلم نجيب السيارة طار بها إلى سعاد يبشرها ويدعوها إلى نزهة قصيرة في تلك السيارة .

ولبت سعاد الدعوة السمحاء ، وجلست قرب الحبيب الولوع في السيارة الأنيقة ، وأدار نجيب المحرك وانطلق يسابق بسيارته الفخمة الريح كي يبرهن لحبيبته سعاد انه على مهارة

وحذق في قيادة السيارة وفي السيطرة عليها وكبح جماحها ساعة يريد .

ومنذ ذلك اليوم وسعاد جبران ترافق حبيبها وزميلها في النزهات والزيارات والرحلات .

ومنذ ذلك اليوم ايضاً لم يعد سعيد نواف ينعم بمرأى ابنه غير مرتين كل يوم ، في الصباح قبل ان يخرج من القصر وفي ساعة متأخرة من المساء ، ساعة يعود ، فالسيارة أقصت نجيباً عنه ، وأبعدته عن أمه وعن شقيقته هدى .

وكان نجيب يخرج من القصر صباح كل يوم في الساعة التاسعة من الصباح، ولا يعود الا في الساعة التاسعة من الليل ، واذا تأخر في العودة ، فهو يعود في الساعة العاشرة او في الساعة الحادية عشرة .

اما تلك الليلة ، الليلة المشؤومة ، التي تلوح في خاطر هدى نواف ، وهي جالسة قرب الموقد المتأجج النار في قصرها الشامخ المنيف ، تلك الليلة الحائلة الرهيبة ، لم يعد فيها نجيب إلى القصر في الساعة التاسعة ، ولا في الساعة العاشرة ، ولا في الساعة الحادية عشرة .

ودقت الساعة معلنة انتصاف الليل ونجيب لم يعد إلى القصر فقلق خاطر والده عليه ، واستبد الجزع والاضطراب بأمه .

واستفاقت هدى من رقادها على همهمة وهمسات في القصر ،



وخرجت من غرفتها لتشاهد أمها وأباها جالسين في البهو والقلق والخوف يستبدان بهما .

وسألتهما : ما بكما ؟ ماذا جرى ؟.

وتمتم والدها : نجيب ..

قالت : ما به ؟ .

فتولت أمها الجواب ، قالت : لم يعد حتى الآن .

وحاولت هدى تهدئة خاطرهما ، قالت : لماذا القلق عليه ؟ أيكون نجيب طفلاً . ان لم يعد الآن ، فهو سيعود بعد ساعة أو ساعتين أو بعد ثلاث ساعات .

فضربت أم نجيب كفاً بكف وهمست : أخشى ان يكون قد نزل به مكروه ، هدى ، منذ ان تسلم هذه السيارة المشؤومة وقلبي يحدثني بوقوع أمر جلل . ولم يكن قلب الأم ليخطىء يوماً يا ابنتي .

والقى والدها بنظرة سريعة إلى الساعة المعلقة في الحائط وهمس : الساعة تشير الآن إلى الواحدة بعد منتصف الليل ، ونجيب لم يعد . يجب ان نبحث عنه .

وتساءلت أم نجيب : أين ؟ أين سنبحث عنه .

وتولت هدى الجواب قالت : سنتصل باحد زملائه هاتفياً . ما لنا الا فؤاد لخير الله . فؤاد زميل نجيب وصديقه الحميم . قد يستطيع ان يطمئن قلوبنا .

قالت هدى هذا ووثبت إلى سجل أسماء المشتركين في الهاتف تبحث بين الأسماء عن اسم والد فؤاد .. وبحثت عن اسم سليم خيرالله ..

ولم يطل بها البحث فهي قد اهتدت إلى رقم منزل سليم خيرالله والد فؤاد .

وتعالى رنين الهاتف عدة مرات قبل ان تسمع هدى صوتاً . فالقوم ينغمسون في الرقاد وقد أشرفت الساعة على الثانية بعد منتصف الليل .

وأخيراً سمعت هدى صوت رجل يتمتم عبر الهاتف :

آلو . من ؟..

وهمست هدى متسائلة : دار السيد سليم خيرالله ؟ .

ورد الصوت : نعم . ماذا تريدين يا سيدتي ؟

قالت : أريد ان اتحدث إلى السيد فؤاد .

— أنا والده . هل استطيع ان أعلم من انت ؟ وماذا تريدين من فؤاد في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟ .

فأحست هدى بالوخزة تصيبها في الكرامة من الصميم وبادرت إلى القول : أنا هدى نواف شقيقة زميل نجلكم فؤاد الطالب نجيب نواف . أخي لم يعد إلى الدار حتى هذه الساعة ونحن قلقون عليه يا سيدي ، قد يستطيع نجلكم فؤاد ، وهو زميله وصديقه ، ان يطمئن قلوبنا .



فأدرك سليم خيرالله انه تسرع في الظن ، وبعض الظن إثم . قال : فؤاد مستغرق في النوم ايتها الآنسة هدى . سأوقظه . مهلاً . انتظري برهة .

وانتظرت برهات ... كانت لديها ولدى والدها ووالدتها الواقفين قربها كالدهور والأجيال .

واذا بصوت فؤاد خيرالله يرن في مسمعها ليقول : نعم ايتها الآنسة هدى ؟ بماذا تأمرين ؟ .

قالت : نجيب لم يعد إلى الدار حتى الآن . هل تستطيع ان ترشدنا اليه ؟ هل تعلم أين هو يا فؤاد ؟

فرد فؤاد خيرالله : لا . لا أعلم اين هو الآن . لقد تركنا المعهد معاً في الساعة السابعة من المساء . لقد استقل سيارته وذهب .

قالت : هل ذهب وحده ؟

قال : لا . كانت معه زميلتنا سعاد جبران .

فتمتمت : هل أستطيع ان أقف منك على رقم هاتف والد سعاد يا فؤاد .

قال : بكل تأكيد . اليك به .

ونفحها برقم هاتف والد سعاد ..

وعادت هدى تدير أرقام الهاتف لتتصل بمنزل والد سعاد . ورد عليها صوت نسائي فوراً . فكأن أصحاب تلك الدار

يجلسون قرب الهاتف . كأن هناك من ينتظر رنين الهاتف . ما ان رن جرس الهاتف في دار والد سعاد حتى رفعت السماعة وتعالى الصوت النسائي لينزل في مسمع هدى هامساً يتساءل ملحاح : آلو ! .. من ؟ سعاد ؟ ..

وردت هدى : هنا هدى نواف .. شقيقة نجيب نواف يا سيدتي .

فقال الصوت : عفواً يا ابنتي انا والدة سعاد .. سعاد لم تعد إلى الدار ونحن قلقون عليها . لقد خيل الي ان صوتك صوتها .

فقالت هدى باستغراب : ونجيب أيضاً لم يعد إلى الدار ؟ .

قالت الأم أتعرفين اين تكون سعاد يا ابنتي ؟

ـ لا .. أنا ما أزعجتكم في هذه الساعة المتأخرة من الليل الا لأسأل عن أخي نجيب . ان نجيباً لم يعد أيضاً إلى الدار ، وقد قيل لنا انه خرج من المعهد في الساعة السابعة من السماء مع سعاد .

وردت والدة سعاد : لا أعلم شيئاً عنها يا ابنتي . على كل فقد طمأنت قلبي قليلا . عساها بخير عساها بخير ..

والقت هدى بالسماعة من يدها .

وما كادت السماعة تستقر في موضعها حتى تعالى رنين الهاتف فاسرع الثلاثة : هدى ووالدها وأمها ، وكل منهم يريد ان يرفع السماعة .. وكان حظ سعاد هو الأوفر فرفعت السماعة وهمست :



آلو .. من ؟

وسمعت صوتاً غريباً يقول متسائلاً : منزل السيد سعيد نواف ؟ .

قالت : نعم .. ماذا تريد ؟ ومن انت ؟

قال : هنا مستشفى اوتيل ديو .

فارتجفت السماعة في يدها وقد ادركت ان هناك مصاباً اليماً . وتساءلت بقلق وهلع واضطراب : ماذا تريد ، سيدي ؟

قال : عندنا في المستشفى جريح اسمه نجيب سعيد نواف ..

وقاطعته : ما به ؟ ما به نجيب ؟ ارجوك يا سيدي قل لي ماذا أصاب أخي ؟

قال : أرجو ان تحضروا إلى المستشفى الآن ..

وأقفل الخط ..

وراح صوت هدى يتعالى مرتجفاً مضطرباً عبر الاسلاك : آلو .. آلو .. آلو .. ما به أخي ؟ ما به نجيب . آلو .. آلو . وكان والدها ووالدتها قد سمعاها تقول : « ما به نجيب ؟ ماذا أصاب أخي ؟ . » فذعرا .

والقت الأم بجسدها الواهي المضطرب على المقعد القريب . ووثب الأب إلى السماعة يخطفها من يد ابنته متمتماً : آلو .. آلو ! .. آلو ! .

الا انه لم يلق جواباً فقد أقفل المتكلم الخط .

والتفت الوالد إلى ابنته متسائلاً : من هو المتكلم يا هدى ؟

قالت : رجل من مستشفى اوتيل ديو .

وأسرع سعيد نواف إلى سجل أرقام الهاتف يقلب صفحاته باحثاً عن رقم المستشفى .

ولقي عنـــاء في العثور على الرقم . فالقلق والاضطراب مستبدان به . وعيناه لا تريان ، ويداه مرتجفتـــان ، والأرقام تتراقص امام عينيه في صفحات السجل وهو يكاد ان لا يراها .

واهتدى إلى رقم المستشفى بعد عناء وبحث طويل . ورفع سماعة الهاتف وادار الأرقام .

وسمع صوتاً يتمتم : آلو .. هنا مستشفى أوتيل ديو .

قال سعيد نواف : الديكم جريح اسمه نجيب نواف .

قال الصوت : من انت يا سيدي ؟

قال : والده .

فرد الصوت : نعم ..

– ما به ؟ .

– سيتكلم معك رجل الأمن .

رجل الأمن ؟ . وليس الطبيب ؟ . اذن الأمر خطير .

لحظات قليلة ، وسمع سعيد نواف صوت رجل الامن يقول : نعم ؟ من انت يا سيدي ؟ .

– أنا سعيد نواف . قيل لنا ان ابني نجيباً في المستشفى ما



به يا سيدي ؟

ورجل الأمن ليس دبلوماسياً ولا يجيد المداورة ولا المحاورة ولا التلميح . فهو رجل حزم وصرامة وعزم . قال : عوضنا الله بسلامتكم يا سيدي .

ولم يتلفظ سعيد نواف بحرف . لم ينطق بكلمة ، فقد سقطت السماعة من يده ، وسقط معها هو على الأرض بلا حراك .

واشتد الذعر بزوجته وهي تشاهده في الارض مغمياً عليه وصرخت : سعيد ! . ما به نجيب ؟ هل مات ؟ .

وتعالى النواح والنحيب والصراخ من الأم ، من زوجة سعيد نواف ، ومن ابنته هدى .

واستفاق الخدم على عويل اسيادهم وجيرانهم ، وأسرعوا اليهم مستطلعين متسائلين : ماذا جرى ؟

ولم تستطع هدى ، ولا استطاعت أمها ان تردا على الخدم ، وقد غرقتا في النواح والبكاء والعويل . وراحتـــا تصرخان : نجيب ! . نجيب ! . نجيب ! .

ولم تلتفتا إلى ابي نجيب الملقى في الأرض بلا حراك .

واسرع الخدم إلى سيدهم يرفعـــونه عن الارض ويحملونه إلى السرير ، وأسرع كبير الخدم الى الهاتف يستنجد بالطبيب .

وعندما اقبل الطبيب لم يجد في القصر سوى اثنين من الخدم وسيدهما الملقى على السرير بلا وعي وبلا حراك .

اما الزوجة والابنة فقد هرولتا دون تفكير ولا وعي إلى مستشفى اوتيل ديو مولولتين باكيتين نائحتين مهدودتي القوى . ولحق بهما الخدم ..

وانصرف الطبيب إلى معالجة أبي نجيب وأعلن للخادمين : سيدكما أصيب بصدمة قلبية تركت أثراً كبيراً في قلبه وفي دماغه ، انه في خطر ، واذا عاش فسيعيش مشلولاً .

واستفاق سعيد نواف بعد ساعات قليلة ، وكان الصباح قد بدأ ينشر وشاحه الزاهي على لبنان ليجد قصره مزدحماً بالاصدقاء والاقارب ، والكل دامع العين كسير الفؤاد . والعويل والبكاء يملأ ارجاء القصر .

وحاول أبو نجيب النهوض من السرير فلم يستطع إلى ذلك سبيلا ، فأدرك انه أصيب بالشلل . مصرع ابنه نجيب هدّه هدّاً وشل في رجله اليسرى وفي يده كل حركة .

وحاول الصراخ ، حاول ان ينادي اليه الخادم نصور فلم يستطع ذلك الا بعد جهد وبتلعثم فايقن ان الشلل أصاب أيضاً جزءاً من لسانه .

وأسرع الخادم نصور إلى نجدة سيده وقد سمع صوته المتلعثم فهمس سعيد نواف بعد جهد متسائلا : اين هو نجيب يا نصور ؟

ولم يجب نصور بحرف ، وبدأت الدموع تتدحرج غزيرة على وجنتيه .





فايقن أبو نجيب ان ابنه مات وان الكارثة الرهيبة نزلت به : فعاد إلى الهمس : أنا اعلم انه مات يا نصور . ولكن اين هي جثته ؟ .

وتمتم الخادم الامين : هنا في القصر يا سيدي .

واذا ببعض الاقارب والاصدقاء يدخلون على ابي نجيب معزين والدموع تتدحرج على خدودهم .

وتساءل أبو نجيب وهو غارق في دموعه : كيف حل المصاب؟ كيف مات نجيب ؟ كيف فقدته ؟ .

وأخبروه : كان يقود سيارته الخاصة بسرعة فائقة في طريق الجبل وقربه صديقته وزميلته سعاد جبران ، ووصلت بهما السيارة إلى منعطف خطر فحاول اجتياز ذلك المنعطف دون ان يخفف من سرعة السيارة فجنحت به وبزميلته سعاد وسقطت في واد سحيق وتحطمت شر تحطيم ، فقتل نجيب فوراً دون ان يستطيع النطق بحرف .

اما سعاد فقد أصيبت بعدة جراح و كسور الا انها لم تمت .

لقد مات نجيب ونجت سعاد .

وكان مأتم الشاب الطري العود نجيب نواف مأتماً حافلا ، مشى فيه الوزراء والنواب ورجال المال والاقتصاد والصحافة ، وكلهم صديق والد الشاب الصريع .

وخيم الحزن بوشاحه الأسود القاتم على قصر سعيد نواف ،

وقد فجع سكان القصر بالشباب النضير ، وتوارى عن حنايا القصر الشاهق المنيف من كان بهجته وسناءه .

وأقام سيد القصر ، أبو نجيب في سريره لا يستطيع نهوضاً بعد ان أقعده الشلل عن النهوض.

ولم تنج أم نجيب من الوهن والعياء والمرض ، وقد هدها موت ابنها ، وبعث في جسدها الواهي النحيل مجموعة من الامراض .

وهدى ، حتى هدى ، بدت متجهمة الوجه ، دامعة العين واهية القوى .

وكان على هدى نواف ، بعد ان توارى شقيقها نجيب عن القصر واقعد الداء والدها ، ان تقوم بالاعمال العديدة المرهقة التي كان يقوم بها الاثنان والدها وشقيقها .

كان على هدى ان تنقد الخدم والعمال مرتباتهم ، وان تشرف على الاعمال الزراعية في الكروم والحقول والبساتين التي يملكها والدها ، وان تراقب الفلاحين وتشرف على المشاريع الزراعية والتجارية والصناعية التي انشأها ذلك الوالد البائس .

كان عليها مثلا ان تبيع الموسم وان تودع صناديق التفاح في البراد ، وان تؤمن للفلاحين البذار والسماد ، وان تودع ايراد العنب والتين والتفاح والقمح في المصرف .. إلى آخر ما هناك من معاملات واعمال متعبة مضنية شاقة .



الحمل كان ثقيلا على عاتق هدى ، الا أنها كانت تقوم به على أكمل وجه .

وأصبحت هدى زهرة القصر الفواحة العبير ، كانت أمل والدها وتعزية والدتها بعد موت نجيب .

وكان الخدم يحبون هدى ويحترمونها ويخلصون لها كل الاخلاص .وأشد أولئك الخدم اخلاصاً لهدى كان الخادم نصور .

وكانت هدى تعتمد في كثير من الأعمال على نصور ، فكان الخادم الأمين يخلص في عمله كل الاخلاص ، ويقوم بكل ما تطلب منه سيدته هدى بكل همة ونشاط .

وكان على هدى ان تتردد على المصرف الكبير القائم من العاصمة اللبنانية في الصميم ، وهو المصرف الذي كان والدها يأتمنه على أمواله .

وترددت على ذلك المصرف . حيناً تودع فيه المال وحيناً تسحبه .

وهناك في ذلك المصرف تعرفت اليه .. إلى فؤاد .

***

واستغرقت هدى نواف في التفكير وهي جالسة تصطلي

أمام الموقد الملتهب الأنفاس .

وكانت الرياح العاتية الهوجـــاء تعبث بأغصان العفص والسنديان والشربين المحيطة بالقصر مرسلة أنينـاً موجعاً يشبه أنين المتألمين فينكسر ذلـك الأنين في أذني هدى نواف ليبعث الشوق والألم والحنين إلى فؤادها الدامي مع الذكريات .

ومر الشريط ، شريط الذكريات في خاطرهـــا فتذكرت كيف تعرفت إلى فؤاد منصور .

كيف ؟ . .

شاهدته للمرة الاولى بعد موت شقيقها نجيب بزهــاء شهر واحد . . .

في ذلك اليوم شخصت إلى المصرف الكبيـــر ، وهي مجللة بالسواد من قمة رأسها حتى أخمص قدميها ، لقد شخصت إلى ذلك المصرف لتسحب مبلغاً من المال .

وكان عليها ان تمر بمكتب الموظف فؤاد منصور ليوقع على المعاملة .

واستقبلها فؤاد منصور بالترحيب الشديد ، ودعاها للجلوس على مقعد جلدي وثير في غرفته الصغيرة في المصرف ، فجلست .

وقدم لها لفافة راحت تدخنها على مهل بانتظار انتهـــاء المعاملة .

ثم جاءها الحاجب بالقهوة .





وبدأ الموظف الشاب حديثه مع الغادة الحسناء الحزين بتقديم التعازي لها مبدياً أسفه الشديد لفقد شقيقها نجيب : « كان رحمه الله من أعز اصدقائي . ولم يكن يحضر مرة إلى هذا المصرف الا ويمر بهذا المكتب مسلماً علي مدخناً لفافة هنا . كان يجلس على على هذا المقعد الذي تجلسين عليه انت الآن . كان مرحـاً ، الابتسامة لا تفارق شفتيه . رحمه الله كم كان شهماً نبيلاً خلوقاً » .

وأدمعت عينـــا هدى وحديث فؤاد منصور يقع منها في الاذنين ، ورشفت القهوة وهمست : لو ظل نجيب على قيد الحياة لما لقيت كل هذه المتاعب ولما ألقيت هذه الاعبـــاء الثقيلة على عاتقي .

فهمس فؤاد : سبحانك اللهم ، تأخذ إلى جوارك من نحن بحاجة اليه ، وتبقي لنا من لا تحتاجه الحياة بشيء .

قالت : هذه هي الحياة . ونحن لا نستطيع ان نغير سطراً واحداً مما خطته يد الأقدار في صفحات حياتنا .

فعاد الموظف الوسيم إلى الترحم على نجيب نواف مبدياً أسفه لفقده ، مقدماً تعازيه لشقيقته .

وأبدى فؤاد منصور استعداده التام لتقديم أية مساعدة لهدى قال : اني لأكون سعيداً أيتها الآنسة هدى اذا استطعت ان أقدم لك أية خدمة .

فشكرته على غيرته وشهامته ونبله .

وكانت المعاملة قد أصبحت جاهزة ، فتسلمت هدى المال ، ووقعت على الأوراق المطلوب توقيعها وشكرت الموظف الغيور وخرجت عائدة إلى القصر .

ولم يثر الموظف النشيط أية عاطفة في قلب هدى يومذاك . صحيح انها أعجبت به ، وبوسامته ، وبأناقته وبطريقة حديثه ، الا ان تلك العاطفة لم تتعدَّ حدود الاعجاب .

غير ان هذا الاعجاب أخذ يتحول إلى صداقة ، ثم تحولت الصداقة إلى عاطفة صادقة مخلصة حنون .

وقبل ان ينقضي عـــام على التعرف إلى فؤاد كانت هدى نواف قد وقعت في الشرك وكان الحب قد بـــدأ ينسج خيوطه الحريرية الدقيقة المثبتة بين القلبين النديين الطريي العود .

وترددت هدى نواف على المصرف الكبـــير . وفي كل مرة كانت تتجه إلى غرفة فؤاد نواف .

وكان فؤاد لطيفاً معها إلى أبعـد حدود اللطف ، فيجلس قربها يحادثها ويسايرها بلطف وحنان ، ويتودد اليها ، ويجلسان طويلاً يرشفان القهوة ويغرقان في الاحاديث

وكانت أحاديثهما أولاً تنحصر في حـــدود الادب والشعر والتجارة والاقتصاد والمال والسياسة .

الا انهذه الاحاديث تطورت إلى أحاديث العاطفة والشعور والحب والشوق والهيام .



وتفاهما .. بل تفاهم قلباهما . الا ان ذلك الحب اقتصر على نبضات القلبين الهائمين ولم تنطق بلواعجه الملتهبة الشفاه .

فلا فؤاد باح بحبه لهدى ، ولا هدى أفصحت عما يجول في قلبها لفؤاد .

وذات يوم ، من أيام الربيـع الجميل الفاتن الممرع الريان دعت هدى صديقها فؤاد منصور إلى زيارتها في قصرها المتربع فوق القمة الخضراء قالت : لي عندك زيارات عديدة يا فؤاد الا تنوي ان ترد لي زيارة منها ؟

وفؤاد كان ينتظر هذه الدعوة السمحاء الا انه رأى ان يتريث في تلبيتها فحاول الاعتذار ، غير ان هدى ألحت عليه قالت : أرجو ان تزورني في داري كي أستطيـع ان أفيك بعض ما لك علي من حقوق الضيافة .

ولم يكن لفؤاد ان يمضي ويغالي في التردد فلبى تلك الدعوة الملحاح ، وهو المعجب بصاحبة الدعوة وبجمالها وبلطفها وبكرم أخلاقها ، الحافظ لها في قلبه الولوع الحب والهيام .

وفي الموعد المضروب ،استقل فؤاد منصور سيارته المتواضعة الصغيرة واتجه بها إلى الربوة الباسمـة الخضراء حيث يجثم قصر هدى نواف .

واستقبلته هدى بالترحيب الشديد .

ووقف الموظف الوسيم واجماً مدهشاً حيـــال روعة القصر

وامام ذلك الغنى الفضفاض الغارق فيه القصر ورب القصر ، وابنة رب القصر .

واقتادته هدى إلى غرفة والدها الكسيح وقدمته اليه قالت : هذا هو السيد فؤاد منصور الذي حدثتك عنه يا والدي الحبيب. انه الموظف في المصرف الذي يقدم لي الخدمات الجلى ويغدق علي المساعدات في كل ما أقوم به من معاملات في المصرف الكبير .

وشكر سعيد نواف الموظف الانيق بلسان يلجمه التلعثم .

وانتقلت هدى بصديقها فؤاد إلى غرفة أمها تقدمه اليها . فهي تريد ان تعرض فؤاد على والدها وعلى أمها ، وكأنها تريد ان تقف منهما على رأيهما فيه .

ولم تكتف هدى بان تقدم فؤاداً إلى والدها وإلى أمها بل هي عرضت امامه الخدم ثم طافت به أرجاء القصر مقدمة اليه أصحاب الرسوم القديمة المعلقة على الجدران : هذا رسم المرحوم جدي .. وهذا هو رسم المرحومة جدتي . وهذا هو المرحوم عمي . مسكين عمي لقد مات وهو في شرخ الشباب ، تماماً مثل أخي نجيب .

ووقفت هدى بصديقها فؤاد امام صورة مجللة بالسواد . وخنقتها العبرات وهي تتمتم : هذا هو المرحوم نجيب الذي أحرق موته قلوبنا يا فؤاد.



وشاركها فؤاد الرثاء ، قال : مسكين نجيب كانت الحياة قاسية عليه ، والموت كان ظالماً بحقه ، لم يرحم شبابه ولا هو أشفق على نضارة عمره .

وحان موعد الغداء ، فحاول فؤاد منصور العودة أدراجه الا ان هدى تمسكت به : لا .. لن أسمح لك بالعودة الآن . سنتناول طعام الغداء معاً .

وحاول الاعتذار ، الا انها ألحت وأصرت فلم يسعه المضي في الرفض والاعتذار .

وجلسا إلى المائدة وحدهما . فلا سعيد نواف يستطيع النهوض عن مقعده يشاركهما الجلوس إلى المائدة ، ولا زوجته ام نجيب تستطيع ان تشاركهما الطعام ، ولها طعامها الخاص الذي فرضه عليها الاطباء .

وانصرفا إلى تناول الطعام الشهي وإلى تبادل الاحاديث .

وبعد ان انتهيا من تناول الطعام دعت هدى ضيفها الكريم إلى نزهة في الغابة الخضراء المحيطة بالقصر .

وخرجا إلى الغابة ، على فرحة طلقة وأحاديث عذاب .

وتسلقا صخور الغابة ، وسارا تحت ظلال اغصان الصنوبر والعفص والشربين وهما يتحدثان . واذا بهما أمام صخرة عاتية ناتئة متجهمة عبوس فشاءت هدى تسلقها .

والتفتت إلى فؤاد قائلة : هات يدك تساعدني على تسلق هذه الصخرة .

ولم يكن له ان يرفض الطلب فمد لها يده تستعين بهـا على تسلق الصخرة الناتئة .

وتشابكت أصابـع اليدين . يدها بيده .

وشعرت هدى بقشعريرة هائلة تهزها هزاً ويدها تلامس يد فؤاد .

وما شعرت به هدى شعر به الموظف الوسيم فشدت أصابعه اصابعها .

وتوقفت هدى عن تسلق الصخرة وقـد وهنت ووهت وعجزت عن المسير .

وما حل بها حـل بضيفها الكريم ، فهو قد وهى ووهن وعجز عن المسير .

وتوقف ..

وغرقا في صمت بارد عميق سحيق .. وساد السكون ارجاء الغابة الخضراء فما هناك سوى حفيف أوراق الاشجار الوارفة يتلاعب بها النسيم العليل .

انه السكون الذي يسبق العاصفة العاتية الهوجاء .

وادرك الاثنان ، هدى وفؤاد ، ان ثمة عاصفة ستهب عليهما لا سيما وهما يشعران بنبضات قلبيهما تتصاعد على شدة واندماج.



وطال صمتهما ، فلا هو تكلم ولا هي ، لقد طال السكون الذي يسبق العاصفة الهوجاء .

ورمق فؤاد هدى بنظرة ولهى ، نظرة عميقة لها الف لون ولون والف شكل وشكل والف الف معنى ومعنى .

ورفعت هدى نظرها اليه .

والتقت العيون ، الاربع ، وتاهت وضاعت في نظرة عميقة بعمق البحر ، طويلة بطول الامد ، رحبة كرحابة الفضـاء الوسيع .

واختلج القلبان الخافقان المتيمان .

وعادت أصابع فؤاد تشد اصابع هدى برفق وحنان وهمس : هدى !.

فتمتمت شفتاها : فؤاد ! ..

وخرجت الكلمتان : « هدى وفؤاد » من الشفاه الاربع كاللحن الشجي .

وجذبها إلى صدره يضمها اليه ، ويقربها من قلبه الخفوق ، الهائم المضطرم اللهيب .

ولم تبتعد ابنة سعيد نواف عن فؤاد ، بل هي التصقت به ، كأنها طائر جريح يحتمي من العاصفة بغصن ظليل .

وأخفت رأسها في صدره ، وتعالت نبضات قلبهـا بقوة واندفاع فخشيت ان يسمع فؤاد تلك النبضات .

وغرقا في نشوة عميقة المدى بعيدة القرار.

واذا بفؤاد يرفع رأسها الواهي بيديه ليسلخ من شفتيها النديتين قبلة حارة ملتهبة ، انها القبلة الاولى ، قبلة الشباب الحائر الضائع المتمرد المجنون.

وضاعت هدى ، القبلة الملتهبة الحمراء أضاعتها وبعثت في فؤادها الندي الهوى والشوق والحنين.

وشعرت بلذة الحب ، شعرت بأن الدنيا كلها بين يديها وهي تلتصق بحبيبها فؤاد منصور .

وهمست : فؤاد ماذا فعلت بهدى يا فؤاد؟

قال ، وهو لا يبتعد عنها : لقد أحببتها ، احببتها بكل ما في العالم من جوى وحب وهيام ، أحببتها بكل ما يستطيع ان يحب ويهوى في هذه الحياة .

قالت : انني لأخشى ان يكون حبك سرابا يا فؤاد، أخشى ان يكون هذا الحب حلماً جميل الرؤى مخضل الجناح . وكل ما أخشاه هو الأفاقة من هذا الحلم الفاتن الرائع الجميل .

قال ، وهو يضمها إلى صدره : اطمئني يا هدى ، أطمئني يا حبيبتي . نحن لن نفيق من هذا الحلم الجميل حتى بعد الموت . لأن الموت نفسه لا يستطيع ان يوقظنا منه . سأحبك يا هدى حتى بعد الموت .

فأطربتها كلماته المعسولة ، يا له من محدث ماهر تستطيع



كلماته الشجية ان تتلاعب باوتار القلوب فتهزها وتبعث فيها النشوة واللذة والحنين .

قالت : يقولون ان المحبين يجتمعون هناك في السماء بعد الموت ، وان أرواحهم تتعانق وتتحد وتهيم . يقولون يا فؤاد ان روح الحبيب وروح الحبيبة تمتزجان وتتحدان ، وتلتصقان بعد الموت لتصبحا روحاً واحدة . اذا صح ما يقولون سنصبح ، أنا وأنت بعد الموت ، روحاً واحدة ، هي أنا وأنت .

قال : ونحن الان يا حبيبتي روح واحدة . أنا وأنت ، وأنت وأنا ، ونحن الاثنين جناحا طائر غريد ، هو الحب ، يصفقان في الفضاء ، فيحلق بنا هذا الطائر الجميل إلى الاعالي .

قالت مازحة : أخشى ان يغدو هذا الطائر يوماً كسير الجناح .

فابتسم ، وشدت يده يدها ، وهمس : أطمئني لن يصبح حبنا كسير الجناح يا هدى .

قالت : اذا استمر طائرنا في التحليق فسيصل بنا إلى فضاء السعادة والهناء يا فؤاد .

قال : وسيظل محلقاً في الاعالي يا حبيبتي وسنغمرنا السعادة ، ويلفنا الهناء .

وتعاهدا في ذلك الحرج الظليل ، على الحب والوفاء ، والزواج . فؤاد لن يتخلى عن هدى ، ولا هدى ترضى بالابتعاد عن فؤاد .

ومنذ ذلك اليوم أصبح فؤاد وهدى عاشقين مغرمين متيمين .

وأدرك فؤاد منصور في أعماق نفسه انه وقع على الضالة المنشودة ، لقد أدرك أي كنز ثمين وقع عليه الاختيار .

فهدى ، ابنة سعيد نواف فتاة جميلة ، مثقفة غنية .

انها غنية إلى أبعد حدود الغنى الفضفاض .

وهي وحيدة والديها ، ثروتها ستنتقل اليها .

وعندما تنتقل ثروة سعيد نواف إلى ابنته هدى فمعنى ذلك انها انتقلت اليه بعد ان يصبح زوجاً مخلصاً وفياً لهدى .

فالصفقة اذن صفقة رابحة ..

اما هدى فلم تكن تنظر إلى زواجها من فؤاد منصور نظرتها إلى صفقة ، بل هي كانت ترى هذا الزواج المقبل أملاً باسماً وحلماً جميلاً ، ومستقبلاً مخضل الرؤى وارف الظلال .

وهدى كانت تعلم يقيناً ان باستطاعتها ان تقع على من هو أفضل من فؤاد منصور ، كانت ابنة سعيد نواف تدرك كل الادراك انها تستطيع الزواج من شاب يفوق ابن منصور جمالاً ومالاً ومقاماً ، الا انها لن تستطيع ان تقع على شاب تحبه كما تحب فؤاداً . لقد رضيت هدى بقسمتها من الحياة . فهي قد أحبت فؤاداً والحب وحده يكفي لأشاعة السعادة في القلوب . ذرة حب تساوي عند هدى نواف الحياة بأسرها .



هذا هو الحب . انه ليفرض ارادته الحازمة على القلوب ، ويبسط سلطانه على الارواح .

ورأت هدى ان تشرك والدها في تقرير مصيرها ، وان تطلعه على ما تم بينها وبين فؤاد منصور .

ليس لها ان تنفرد في ابرام القرار الذي اتخذته مع فؤاد . لوالدها رأيه الصائب القويم ، ويجب ان تقف على هذا الرأي .

غير انها ترددت قبل ان تطلع والدها على الأمر ، فقدخشيت ان يصدمها الوالد الحنون في أعز أمانيها ، خشيت ان يحول والدها بينها وبين حبيب القلب والروح .

وهدى فتاة عاقلة ، ذكية ، تعرف أي فرق اجتماعي شاسع بينها وبين فؤاد منصور .

هي من أسرة كريمة نبيلة معروفة ، أنجبت للوطن رجالاً عظاماً ، جدها كان صاحب مقام رفيع في عهد الانتداب في لبنان ، وعمها الذي توفاه الله ، وهو في شرخ الشباب كان نائباً في مجلس النواب . وخالها ما زال حتى الآن يحتل منصب مدير عام في الدولة .

اما فؤاد فهو من اسرة متواضعة لم تنجب سوى عمال وموظفين صغار .

وهي غنية ، غنية جداً . تملك البساتين الشاسعة والحقول الواسعة ، والكروم المترامية الاطراف . وفي بيروت تملك

بنابتين شاهقتين ايرادهما الضخم يكفل لها حياة هانئة سعيدة .

أما فؤاد فـلا مورد له الا مرتبه الضئيل في المصرف الكبير .

وهي مثقفة ثقافة عالية . تحمل براءة « الليسانس » في الأدب الفرنسي ، وفؤاد لا يحمل سوى شهادة « البكالوريا » .

هذا الفرق الشاسع بين مقامها الاجتماعي والمالي والثقافي والسياسي . وبين مقام فؤاد سيهيب بوالدها إلى رفض طلبه يوم يحضر اليه طالباً يدها .

ورأت هدى ، ان تمهد السبيل أمام فؤاد عند والدها ، وأن تهيء الجو لأجابة طلبه فوثبت إلى والدها ذات يوم تقول : مـا هو رأي والدي العزيز في الشاب فؤاد منصور ؟ .

انها تطلب إلى والدها إبداء الرأي في فؤاد . فهي تريد ان تقف على هذا الرأي لتعرف مدى الأمـل في الموافقة على زواجها منه .

ورد الوالد بلسانه المتلعثم : لماذا تسألين مثـل هذا السؤال يا هدى ، لماذا تريدين ان تقفي على رأيي فيه ؟ .

فتلعثمت وهي تجيب : انه شاب لطيف مهذب خدوم ،فهو يمد لي أبداً يد المساعدة والعون .

قال سعيد نواف: سأطلب إلى مدير المصرف ان يزيد مرتبه، والمدير لا يرفض لي طلباً لأنني مساهم كما تعلمين في رأسمال المصرف



وأنا عضو في مجلس الادارة .

قالت هدى : ليس من أجل هذا أطلب رأيك فيه يا والدي ولا أخال فؤاد يوافق على ما لا يستحقه .

فاستوى سعيد نواف ، بعجز في سريره ليقول : أفصحي يا هدى ما تريدين قوله ولا تخاطبي والدك بالأحاجي والاسرار .

فتسلحت هدى بالجرأة وبالشجاعة لتهمس : هل يصلح فؤاد منصور صهراً لك يا والدي الحبيب ؟

فانتفض سعيد نواف في سريره ، وتمتم متسائلاً : ماذا تقولين يا هدى ؟ هل جننت؟

فادركت ان الأمر عسير ، وهمست : انه مجرد سؤال يا والدي أردت ان أقف على جواب منك .

قال ، وهو عابس الجبين ، متجهم الوجـه : لا .. فؤاد منصور ، الموظف الصغير في المصرف لا يصلح زوجاً لأبنتي .

فتجرأت لتسأل : لماذا يا والدي ؟ .

قال ، والتجهم لا يفارق وجهه : لا مقامه في مقامنا ، ولا ثروته ، في مقدار ثروتنا ، ولا وزنه من وزننا .

وساد الصمت برهة بين الاب والابنة ، وأدرك سعيد نواف ان ثمة سراً تخفيه ابنته في صدرها ، فأراد ان يجلو ذلك السر ، وان يقف على الحقيقة الناصعة البياض ، فمزق حجاب الصمت السائد بينهما ليقول: أريد منك الحقيقة يا هدى. هل هناك بينك

وبين هذا الموظف ما يدعوك إلى الميل اليه .

وأجابت هدى : لقد عودتني على الصراحة التامة يا والدي الحبيب ، فلم أكن يوما لاخفي عنك شيئاً . ان فؤاداً صارحني بميله الي ، ولوح لي برغبته في الزواج مني .

قال : وماذا كان جوابك يا هدى ؟

قالت ، وهي تحاور وتداور : لم أنفحه بالجواب، واستمهلته ريثما أقف على رأيك يا والدي .

قال : يخيل الي انك تعرفين رأيي . انت ابنة سعيد نواف التي طلب يدك ابن النائب سالم بك فرفضت طلبه ، والتي تمنى الوزير السابق جميل بك ان تصبحي كنته فأبيت ، توافقين على الزواج من موظف صغير في مصرف ؟

فرأت ان تحاول اقناعه بالموافقة قالت : السعادة يا والدي ليست بالمال ولا بالجاه ولا بالمقام.

قال : وبماذا تكون السعادة اذن ، ان لم تكن بالمال وبالجاه وبالمقام يا هدى ؟

قالت : انها في راحة البال وصفاء الضمير يا والدي .

قال : وهل يخيل اليك ان راحة البال وصفاء الضمير ، في العيش مع شاب فقير داخل منزل متواضع حقير ؟

فكادت تقول له : « ان ثروتي تكفيني وتكفيه » الا انها





خشيت ثورته وغضبه ورأت ان تستعين بامها عليه . والام أرحم بالبنين من الاب ، فوثبت إلى أمها عارضة أمرها عليها ، طالبة اليها المساعدة والعون .

وحاولت الام المريض صرف ابنتها عن التفكير بالزواج من فؤاد منصور ، غير انها لمست في إبنتها ميلاً إلى الشاب ، والام تعرف ما هو الميل ، وإلى ماذا يجر ، وقد ذاقت في صباها منه المصائب والويلات ، وتألمت وحنت ، واشتاقت ، وبكت ..

وقالت الام : سأحاول ان أقنع والدك يا هدى .

وبرت الام بوعدها فشخصت إلى زوجها قائلة بخبث ودهاء: هل عرضت عليك هدى قصتها مع الشاب فؤاد منصور ؟

فاستوى سعيد نواف في سريره ليقول : اسمعي يا شفيقة .. انا لا اريد ان افتح حواراً مع هدى في هذا الشأن . لقد قلت كلمتي وانتهى الامر . هدى لن تتزوج من فؤاد منصور .

قالت الام : اسمع يا سعيد . نحن لا نستطيع ان نرغم هدى على الزواج من شاب نختاره لها . هي ستختار عريسها ، ويبدو انها اختارت .

قال : تختار دون ان تقيم وزناً لرأينا ؟ .

قالت : لا . لو انها ارادت ان تنفرد برأيها لما صارحتك بالامر ولما لجأت الي . نحن لن نعيش العمر مع هدى . ابنتنا

ستعيش مع زوجها ، ومن حقها ان تختار هذا الزوج الذي ستعيش العمر معه .

قال : اريد ان أطمئن إلى سعادة هدى قبل ان أموت ، ولذلك فأنا سأختار الزوج الذي يسعدها .

قالت الأم : وكيف تستطيع ان تعلم ان من تختاره لها سيسعدها ؟

فأفحمته ..

ولاذ سعيد نواف بالصمت ، فلمست زوجته فيه اللين ، واستبشرت خيراً ، فمضت تقول : رأيي ان نوافق على عقد الخطوبة . فليتقدم فؤاد منصور ويطلب يدها فتوافق انت على طلبه شرط ان تتم الخطوبة أولاً لمدة من الزمن نضعه فيها تحت مجهر الاختبار . فاذا رأيناه صالحاً تم الزواج ، وإلا فسخت الخطبة وذهب كل منهما في سبيله .

فلم ينبس سعيد نواف بحرف ، بل هو استغرق في الصمت وفي التفكير

وخيل لزوجته انه وافق ، أو انه في طريق الموافقة ، فطارت إلى هدى تبشرها بالخير .

وهدى طارت بدورها إلى حبيب القلب والروح ، إلى فؤاد منصور قائلة : يبدو ان والدي وافق على زواجنا يا فؤاد ، وكنت اخشى ان لا يوافق . ما عليك الآن الا ان تشخص اليه





وتطلب يدي .

وارتاح فؤاد بعض الارتياح ، وهدى تزف اليه البشرى السارة ، وهو مثلها كان يخشى رفض والد هدى . اما الآن ، وقد حملت اليه هدى بشرى موافقته فقد اطمأن بال فؤاد منصور .

وشخص فؤاد إلى القصر الشاهق المنيف ، ومثل بين يدي الشيخ العجوز المشلول ، طالباً يد ابنته المصون الحسناء .

وحاول الوالد الرفض ، حاول ان يرد فؤاداً خائب الامل ، الا ان هدى تدخلت ورجت أباها ان يبارك خطبتهما .

وساعدتها امها عليه .

ونزل الوالد على رجاء هدى ، وأظهرت مساعدة شفيقة ، وبارك الخطيبين ، وتمنى لهما الحياة السعيدة المغمورة بالهناء والسعادة ، والاطمئنان والبهجة والسرور .

الا ان سعيداً لم يكن مطمئن البال لهذه الموافقة التي ارغم عليها .

وتمنى في قرارة نفسه ان «يسقط» فؤاد منصور في الامتحان خلال أشهر الخطبة القليلة ، وان تفسخ الخطبة وتحل هدى من رباطها الوثيق المتين ، ليختار لها هو نفسه عريساً ذا مقام رفيع ومال وفير .

وعقدت الخطبة، في جو متواضع اراده سعيد نواف هكذا. فليس ثمة مجال للأفراح في قصره العبوس الذي فقد بسمته الهافتة يوم فقد نجيبا.

ونعمت هدى نواف قرب خطيبها الانيق الوسيم بالفرحة والسعادة.

وأخذت تستعد ليوم العرس البهيج، والامال الهانئة تغمر فؤادها الندي الطهور

وانصرفت إلى شراء ما تحتاج اليه العروس من ثياب وجواهر وحلى ومتاع.

وفؤاد بدأ ايضاً يستعد ... الا ان الاستعداد لدى فؤاد منصور، لم يكن بالأمر المرهق الشاق، فهو ليس بحاجة إلى تأثيث دار الزوجية، والقصر، قصر عروسه مشرع الابواب امامه، سينزل فيه يوم يصبح صهر القصر، على الرحب والسعة. والعروس الحسناء الثرية، ليست بحاجة إلى هداياه المتواضعة، فلا الذهب يستهويها ولديها منه الكثير، ولا الثياب الانيقة تلفتها، وخزائنها مكدسة بالثياب الانيقة.

ما هناك سوى نفقات العرس، وهي نفقات ينوء تحت اعبائها فؤاد منصور الموظف الصغير في المصرف، على ضآلتها وهزالها.





وأدركت هدى ان فؤاداً لا يستطيع الوصول إلى المبالغ التي تحتاجها نفقات العرس، فمدت يدها إلى صندوق أبيها تغرف منه الذهب لتفرغه في جيب الخطيب الحبيب.

ونعم فؤاد منصور بالهناء، وعرف لذة اليسر قبل ان يدخل القصر الشاهق المنيف.

وحاول فؤاد الاعتراض على ما تبديه هدى، وعلى ما تقدم عليه: لا يا هدى. هذا المال ليس مالي. اني لأرفض أن أمد يداً إلى مال ليس لي.

فضحكت الخطيبة المصون، وهمست: هذا مالي أنا يافؤاد. ومالي هو مالك، أي فرق بين مالي ومالك؟

فمضى فؤاد في الاعتراض، قال: لا يا هدى. لا، لن أمد يدي إلى مالك. أريد ان أشعر بأنني أنا المنفق وانني أحصل على المال بعرق الجبين.

فطوقته بذراعيها لتقول: مجنون. هل يخيل اليك انني غريبة عنك؟ كل ما أملك هو لك يا حبيبي.

فأبدى فؤاد منصور الشهامة والزهد قال: لا، لا، لن أمد يدي إلى مالك.

فأمسكت بحفنة من الذهب تنفح بها حبيبها فؤاد قائلة: خذ هذا المبلغ الضئيل واشتر ثياب العرس ومعداته.

فتردد قبل ان يوافق على استقرار الذهب في جيبه، ثم نزل

عند الحاحها ليقول بمكر ودهاء : سأعمد إلى تأثيث دار الزوجية في أجمل أحياء بيروت .

فطفت على شفتيها ابتسامة عاتبة لتقول : لسنا بحاجة إلى دار نقيم فيها في العاصمة اللبنانية يا حبيبي . فنحن سنحل في قصرنا هنا مع والدي ووالدتي ، لن أبتعد عنهما ، ولا أخالك ترضى بأن أبتعد عنهما، ثم أترانا نهجر هذا القصر الشامخ الرحيب لنقيم في دار متواضعة في حي من أحياء بيروت المزدحمة بالسكان، المخنوقة اللاهثة تحت وطأة الازدحام .

قال والخبث باد في كلماته المنمقة : ولكن كيف سأنتقل كل يوم من هذا القصر النائي البعيد عن العاصمة ، إلى مركز عملي في بيروت .

فاتسعت الابتسامة على شفتيها النديتين ، وتمتمت : اطمئن ستكون لك سيارتك الخاصة . أنا سأبتاع لك سيارة . وتكون هديتي اليك .

فشعر فؤاد منصور بالفرحة تغمر روحه وخطيبته الحسناء تبشره بالسيارة الخاصة . منذ أمد بعيد وهو يحلم بان يكون صاحب سيارة خاصة ، يجلس وراء مقودها ويطلق لها العنان ، الا انه لم يستطع تحقيق هذا الحلم البهيج ، واليد قصيرة والعين بصيرة ، وكأن الله ، سبحانه وتعالى ، أراد ان يحقق أمله الوضاح فألهم خطيبته بان تهديه سيارة .



وطوقت هدى نواف عنق خطيبها بيديها الاثنتين لتقول مازحة : ولكن سأفرض عليك مراقبة شديدة فلن تستطيع ان تنقل الحسان في سيارتك ، ولن تستطيع ان تقوم برحلة وحدك . سأكون رفيقتك أين سرت وأين اتجهت .

وراحت ترسم له البرامج : ستشخص في سيارتك الخاصة إلى عملك في بيروت صباحا ، ثم تعود الي ظهراً ، فنتناول طعام الغداء ثم نستقل السيارة ونذهب إلى النزهات والزيارات. هدى نواف ستكون أسعد امرأة على وجه الأرض قرب حبيبها فؤاد منصور .

وابتسم فؤاد وهو يستمع إلى بيان خطيبته وهمس : ليكن ما تريدين يا هدى. فؤاد لا ولن يرد لك طلباً أو يخالف لك أمراً تصدرينه انت الآمرة الناهية عند فؤاد . انت روحه وحياته وأمله الباسم المخضل الجناح .

وتعانقا على جوى ونار ، واستغرقا في أحلامهما الهانئة الباسمة العذاب .

## ٢



وانغمست هدى نواف في تخيلاتها وفي استعادة ذكرياتها العذاب ، وكان قرع الاجراس ، اجراس العيد السعيد ، ينزل في أذنيها كصدى بعيد آتياً اليها عبر الايام والسنين الغابرة حاملاً لها معه الذكريات المؤلمة ، الدامية الرهيبة .

وتذكرت ...

تذكرت كيف أقامت على انتظار يوم العرس الفاتن الجميل ، وكيف راحت تبتاع ما تحتاج اليه العروس من ثياب وحلى ومتاع .

وتذكرت كيف انصرف فؤاد ايضاً إلى تهيئة معدات العرس .

ووالدها المشلول ، ووالدتها المريض ، أيضاً راحا ينتظران ذلك اليوم الفاتن الجميل ، يوم عرس وحيدتهما هدى ، ذلك اليوم الذي يشاهدان فيه وحيدتهما الحبيبة تختال في ثوب العرس الناصع البياض .

انها ليريدان رؤيتها عروساً ترفل بالثياب البيض قبل رحيلهما عن هذا العالم الفاني بعد ان حرما من رؤية ابنهما نجيباً في يوم عرسه الميمون الذي كانا ينتظرانه بفارغ صبر .

ومن خلال فرحتهما ، وهما ينتظران موعد عرس هدى كان بارق حزن رهيف يلوح لهما . انه الحزن على فقد ابنهما نجيب .

ولم تقف الأحلام بسعيد نواف وبزوجته شفيقة عند رؤية ابنتهما هدى عروساً ، بل جنحت بهما إلى رؤية طفلها ، حفيدهما .

هذا الطفل سيكون ولي العهد ، وسيرث بعد موتهما ثروتهما الطائلة . هدى ابنتهما الوحيدة سترث أموالها ، ومن هدى تنتقل تلك الأموال إلى الطفل الحبيب .

ذلك الطفل سيكون اسمه سعيداً ، تيمناً باسم جده .

اما اذا كان طفلة فسيكون اسمها شفيقة تيمناً باسم الجدة المصون .

غير ان سعيداً لم يكن مرتاح كل الارتياح إلى الصهر الانيق الوسيم .





كان قلبه دليله ، وكان يخيل اليه ان العرس لن يتم ، وان فؤاداً لا يصلح زوجاً لهدى .

وفي قرارة نفسه كان يتمنى ان تفسخ الخطوبة ، كي يعقد زفاف هدى إلى عريس يليق بها ، وبثروتها الطائلة وبمقامها الرفيع .

والعرسان كثيرون ، وبينهم ابناء وزراء ونواب ورجال مال ووجاهة ومقام .

وتحققت اماني ابي نجيب .

ولم يتم عرس هدى وفؤاد .

فقد أبت الارادة المجهولة القرار ان يعقد زفاف هدى نواف على فؤاد منصور .

وشاهدت هدى مصرع قلبها الذبيح المخضب بالدمع والدم ، بعينيها .

وعرفت العينان النجلاوان الجميلتان مرارة الدمع ، واكتوى قلبها بمرارة الأسى والعذاب .

فقد خاب الأمل المخضل الجناح ، وسقط خطيبها فؤاد في الامتحان .

وفي مثل هذه الليلة . المطيرة القارسة البرد ، التي تجلس فيها هدى إلى الموقد العامر بالجمر والرماد . بالجمر المحرق كحبها الخالد ، والرماد الخامد كقلبها الجريح الحزين .

في مثل هذه الليلة ، ليلة العيد شاهدت فؤاداً للمرة الأخيرة منذ زهاء عشرين سنة .

في مثل هذه الليلة جاء فؤاد منصور إلى قصر سعيد نواف ليفاجيء خطيبته وحبيبة قلبه هدى بنبأ مؤلم اهتز له قلب هدى . نبأ سفره إلى فرنسا في مهمة رسمية .

قال فؤاد : مجلس الادارة ، ادارة المصرف ، قرر ايفادي إلى فرنسا لأيداع كمية من الذهب والجواهر النادرة الثمينة في احدى المؤسسات المصرفية الفرنسية .

فاهتز فؤاد هدى ، ووجمت : لماذا تسافر الآن ، قبل موعد العرس بأيام قليلة يا فؤاد ؟ وكيف تريدني ان اقضي العيدالسعيد وحدي ، وانت بعيد عني ؟

قال : انه العمل يا حبيبتي يفرض علي القيام بهذه المهمة .

قالت : سنتزوج بعد ايام قليلة ونسافر معاً الى فرنسا وإلى غير فرنسا من البلدان الغربية والشرقية الجميلة .

قال : مستحيل يا هدى . ما سأحمله إلى فرنسا ثروة طائلة كبيرة . انه صغير الحجم عظيم الثمن . الذهب والماس والجواهر التي سأحملها إلى فرنسا ثمنها ملايين الليرات ، ولن يستطيع احد سواي من الموظفين نقلها إلى فرنسا. مجلس الادارة لا يثق بسوى فؤاد منصور .

فتمتمت : ومتى ستعود يا فؤاد ؟



قال : المهمة سهلة يا هدى. لن يستغرق انجازها أمداً طويلا. سأسافر فجر غد لأعود بعد أسبوع . أسبوع واحد فقط ، واذا طال سفري ، وهو لن يطول ، فسأعود بعد أسبوعين على أبعد تعديل .

قالت : هل نسيت ان موعد العرس بعد ثلاثة أسابيع ؟

قال ، وهو يشد يدها : هل يخيل اليك انني لن أكون هنا في موعد العرس ؟! يا مجنونة . انني لأنتظر هذا الموعد بفارغ صبر .

وشدت يدها يده ، وهمست : لا أعلم لماذا تشاءمت في بعادك عني قبل موعد العرس يا فؤاد .

فابتسم على هزء ليقول : هل تؤمنين بالتشاؤم والتفاؤل يا هدى ؟

قالت : هناك قوة هائلة خفية تحرك في نفوسنا المشاعر والأحاسيس يا فؤاد ، فنحزن أحياناًبدون ان يكون ثمة مبرر للحزن ، ونفرحبدون ان يكون هناك مبرر للفرح ، ثم نكتشف ان الحزن الغامض كان مقدمة لحدث مؤلم محزن ، والفرح ذاك لحدث مفرح سار .

قال : هناك سبب واحد يحول دون عودتي اليك يا هدى .

فذعرت وتمتمت : ما هو هذا السبب يا فؤاد ؟

قال : اذا سقطت الطائرة التي تقلني إلى فرنسا وتناثر جسدي أشلاء في الفضاء .

فتجهمت وهدرت : رحماك . لا تنطق بمثل هذا الكلام الرهيب . لماذا تريد ان تبعث في قلبي الخوف والذعر يا حبيبي؟

فأكمل : حتى ولو قضيت في كارثة الطائرة فأنا سأعود اليك . ستعود روحي اليك يا حبيبتي لتحوم أبداً حولك . حتى الموت لا يستطيع ان يبعدني عنك يا هدى .

فطوقته بذراعيها وهمست : انني لأطلب إلى الله سبحانه وتعالى ، ان يلفني الموت ويغيبني التراب قبل ان تحز أصبعك شوكة يا فؤاد .

فطبع على خدها قبلة ملتهبة حمراء ، وهمس : يا حبيبتي .

وودعها ..

وسار ... وخرج تلك الليلة من هذا القصر ، فاتشحت بردائها وخرجت إلى الشرفة ، إلى هذه الشرفة المنبسطة امام بهو القصر على انفة ورحابة واتساع تشيعه بانظارها وقلبها على انقباض وانكسار .

فكأنها علمت في قرارة نفسها ان هناك حدثاً رهيباً مخيفاً يخفيه القدر الغاشم المجهول في طياته الآن ، ليفاجئها به غداً ، ويدمي قلبها الندي الطهور .





وشاهدته ، وهي تقف على الشرفة الفسيحة الارجاء يتشح بمعطفه ويسير بين أشجار الحديقة .

وكانت الغيوم الدكناء تنتشر في الفضاء ، لتنقشع من حين إلى آخر مفسحة لنور القمر الفضي الجميل سبيلا إلى الأرض .

وكان ضوء القمر الواهي النحيل يتسلل من بين أغصان الاشجار العارية البارزة العظام ، فتشاهد هدى حبيبها فؤاداً يسير باتئاد خطى في الحديقة الموحشة الكئيبة .

وقبل أن يجتاز فؤاد الحديقة التفت اليها .

وشاهدها تقف على الشرفة ، فأومأ اليها بيده مودعاً .

ورفعت يدها في الفضاء تشير اليه مودعة والدمعة في عينيها والغصة في قلبها والأنة على شفتيها .

وانغمس فؤاد في ضوء القمر الشحيح وتوارى عن عينيها بين أشجار الغابة الخضراء الجميلة ، هذه الغابة التي تحنو على القصر الصامت الكئيب ، فهمست هدى: احرسه ، ورده الي يا رب

الا ان الله ، سبحانه وتعالى ، لم يستجب نداءها .

ولم يرده اليها .

ومنذ تلك الليلة لم تشاهد هدى نواف خطيبها الحبيب فؤاد منصور .

منذ تلك الليلة والدموع لم تنضب من مقلتيها . هذه الدموع

الملتهبة لم تجف .

انها دموع العذارى المقدسة الطاهرة التي تحرق وتدمي وتنتقم وتذيب .

★★

ومضت هدى منصور في ذكرياتها .

فتذكرت :

كيف أقامت على انتظار ممض هادم مرير ملحاح .

وطال انتظارها دون ان يعود اليها فؤاد ، ودون ان ينفحها برسالة يطمئن بها قلبها ويطفىء نار الشوق المندلعة في ذلك القلب الولوع .

وانقضى اسبوع ، وتلاه اسبوع ، ثم تلاه اسبوع وفؤاد لم يبن له أثر .

فاشتد القلق بها ومضّها الانتظار الطويل .

ورأت ان تسعى هي الى الاطمئنان على فؤاد فشخصت إلى المصرف تسأل عن الحبيب الممعن في النوى والبعاد .

وفي ذلك المصرف وقفت هدى نواف تسأل عن خطيبها : فؤاد منصور .. اين هو ؟ . ألم يعد من رحلته إلى فرنسا ؟ .

فتطلعت اليها العيون بهزء وسخرية .

وطفت الابتسامات الهازئة الصفراء على الشفاه : مسكينة



هذه الفتاة الحسناء ، فهي لا تعلم شيئاً عن مصير فؤاد منصور ، وعما حل ، أو سيحل به .

وراعها الصمت العميق ، وهالتها تلك النظرات الهازئة الناظرة اليها باشفاق .

واستقبلها المدير بالحفاوة والترحيب . فهي ابنة أحد المساهمين الكبار في المصرف والرصيد الذي يملكه والدها في ذلك المصرف كبير رجيح يدفع سعادة المدير إلى الترحيب بالابنة الحسناء اكراماً لعين الوالد ولماله الوفير .

ودعاها إلى الجلوس ، فجلست على مقعد رجراج وثير ، والقلق يستبد بها والحيرة تكاد تخنق أنفاسها .

وسألت المدير : بربك قل لي يا سيدي أين هو خطيبي فؤاد منصور ؟ وماذا حل به ؟.

وتساءل المدير بارتباك : فؤاد منصور ؟ .

— نعم فؤاد منصور .

وصمت المدير . . .

ومرت لحظات قليلة كانت لدى هدى كالدهور والاجيال فيما مدير المصرف غارق في صمته العميق ، وهو يرمقها بنظرات تنم عن الاسف والاشفاق .

وعادت هدى إلى السؤال الملحاح .

وعاد المدير إلى الصمت الرهيب ينغمس فيه على حيرة وارتباك ونظرات الاشفاق والاسف تطل من عينيه لتكوي فؤادها ، وتحرق قلبها وتزيدها حيرة على حيرة واضطراباً على اضطراب .

وراح مدير المصرف يفكر وهو لا ينفك ينظر اليها تلك النظرات الحائرة القلقة المحرقة .

انه ليفكر بماذا سيقول لها . بما يجوز وبما لا يجوز ان يقول لخطيبة فؤاد منصور .

واشتد القلق بهدى ، وسحقتها نظرات المدير ، وأشعلت في قلبها النار .

وعادت إلى السؤال : قل لي يا سيدي . بربك قل لي ماذا حل بفؤاد ؟ ماذا أصابه ؟ ماذا دهاه ؟ أيكون في خطر؟ .

ونطق أخيراً سعادة المدير ، قال : لا .. فؤاد منصور بألف خير .

وبالرغم من الهزء الغامر تلك الكلمات القليلة التي نطق بها مدير المصرف ، فقد اطمأن قلب هدى قليلاً .

وعادت إلى السؤال : اين هو ؟

ولم يجب المدير على السؤالين . فلا هو قال لها أين هو فؤاد ولا أنبأها بعودته من الرحلة الطويلة بل هو تمتم ، وكأنه يلقي



عليها نصيحة : من الخير لك يا ابنتي ان تنسى خطيبك ولا تفكري به بعد الآن .

وتحول القلق في صدر هدى نواف إلى ذعر وكلمات سعادة المدير تنزل منها في الأذنين .

وتساءلت : لماذا ؟ .

وعاد المدير إلى الصمت . فكأنه لا يريد ان يقول لها لماذا .
وأدركت هدى ان هناك مصاباً اليماً حل بفؤاد فعادت إلى السؤال بقلق ورجاء قالت : انك لتثير مخاوفي وهواجسي يا سيدي. أرجوك ان تطلعني على كل شيء. أريد ان اعلم ماذا حل بخطيبي .

فقدم اليها المدير لفافة ، وتناول هو لفافة ، وأشعل اللفافتين ليقول : خطيبك ليس هنا.

قالت : أين هو اذن ؟ وماذا دهاه ؟

فنفث المدير دخان لفافته في الفضاء ليقول : اسمعي يا هدى خطيبك سار في طريق الضلال .

فأطل الذعر من عينيها .

فيما المدير يكمل حديثه قائلا : فؤاد منصور غادر لبنان منذ زهاء شهر وهو يحمل ثروة طائلة من ذهب وماس وجواهر كريمة في طريقه إلى فرنسا . ادارة المصرف عهدت اليه بنقل

هذه الثروة إلى احدى المؤسسات المالية المصرفية بعد ان خيل اليها انه مثال الشهامة والنبل والشرف فخاب ظنها فيه .

فارتجفت شفتاها النديتين وهي تتساءل : لماذا يا سيدي ؟

قال : فؤاد منصور طار بالثروة بين الأرض والسماء .

فهمست : مستحيل ..

وتابع المدير حديثه قائلاً : خطيبك يا ابنتي مختلس ، لص ، محتال . مطارد من العدالة . ورجال الامن الدوليون جادون في البحث عنه لاعتقاله .

ووجمت هدى ..

وأخذت ترتجف كأنها ورقة من أوراق الخريف الصفراء يتلاعب بها رياح تشرين العاتية الهوجاء . واستطاعت أن تتمتم بعد جهد كبير : مستحيل ... مستحيل . فؤاد شاب نبيل شريف كريم الخلق . لن يهوي إلى أسفل دركات الشر . انكم لواهمون يا سيدي المدير .

فهز المدير رأسه بأسف وأسى .

ومضت هدى في الكلام ، وفي الدفاع عن خطيبها قالت : قد يكون مريضاً ، قد يكون في خطر ، قد يكون اضطر للقيام بعمل ما .. قد يكون .. قد يكون ..

فابتسم المدير على هزء وسخرية ، قال : ألا تؤمنين بكلام المدير ؟ خذي . إقرئي .





وفتح درج مكتبه واخرج منه ملفاً ضخماً كتبت عليه كلمة « سري » .

ووضع الملف امام هدى قائلاً : عندما تطالعين بعض ما في هذا الملف من تقارير واثباتات وبراهين وحجج دامغة قاطعة راهنة لن تستطيعي الدفاع عن خطيبك يا ابنتي

وبيد ترتجف فتحت هدى نواف ذلك الملف وبدأت تقلب وتقرأ ما فيه من أوراق . منها باللغة العربية ومنها باللغة الفرنسية .

وماذا فيه ؟ .

ماذا وجدت هدى في ذلك الملف ؟ .

وجدت تقارير خطيرة من ادارة المصرف الفرنسي في باريس ، وتقارير من مديرية الأمن العام الفرنسية ، وتقارير من رجال البوليس الدولي « الانتربول » وتقارير من رجال الأمن العام اللبناني ، ورسائل متبادلة بين المصرف اللبناني والمصرف الفرنسي ..

وكلها تقارير ورسائل مخيفة مرعبة رهيبة تثبت ان فؤاداً ليس سارقاً ، ولا محتالاً ، ولا لصاً فحسب ، بل هي تجزم وتثبت انه خائن أيضاً . فهو قد خانها مع امرأة ساقطة .

وجاء في أحد تلك التقارير ، وهو التقرير الذي لفت هدى وأثار كل اهتمامها ، ان فؤاداً منصور أحب امرأة ساقطة واختطفها

من عشيقها وهرب وإياها بالثروة الطائلة التي كلف بنقلها من بيروت الى فرنسا .

وكان المدير ، يراقبها وهي منصرفة إلى مطالعة تلك التقارير بأسف وألم : مسكينة هذه الفتاة كم ستتألم ، وستعاني من العذاب وكم ستسكب من الدموع .

وكانت هدى تقرأ وترتجف ، وكلما وصلت إلى تقرير ازدادت التهمة وضوحاً وإثباتاً، وازداد بالتالي ألمها واضطرابها.

وعندما انتهت من قراءة تلك التقارير الرهيبة كانت قد أصبحت في حالة وهن وألم وتعب وإعياء .

وحاولت الوقوف لتعود إلى القصر فعجزت عن الوقوف .

وحاولت الكلام فاختنقت الكلمات على شفتيها .

وأغمضت عينيها ، وأجهشت بالبكاء .

وشعر المدير بالعطف نحو هذه الفتاة . انها ضحية من ضحايا فؤاد منصور . يا له من مجرم سافل شرير .

وتمتم المدير مؤاسياً ابنة صديقه سعيد نواف : يا ابنتي ! .. الحياة ملأى بالمصائب والكوارث والهموم ، وعلينا ان نجابه هذه الكوارث والهموم بالقوة والشجاعة والصبر . فالعاصفة الهوجاء تستطيع ان تحطم الضعاف من الاغصان . اما تلك الاغصان الثابتة النضرة ، القوية فهي تهزأ بالعاصفة ، وتصمد في





وجهها على قوة وبأس وشموخ فلنكن يا هدى أغصاناً قوية لئلا تحطمنا عواصف الهموم والكوارث والآلام .

فمسحت هدى دموعها المنسابة على خديها وهمست ، بعد جهد : شكراً لك يا سيدي ، لقد فتحت عيني على النور ، بعد ان كنت اتخبط في الظلام .

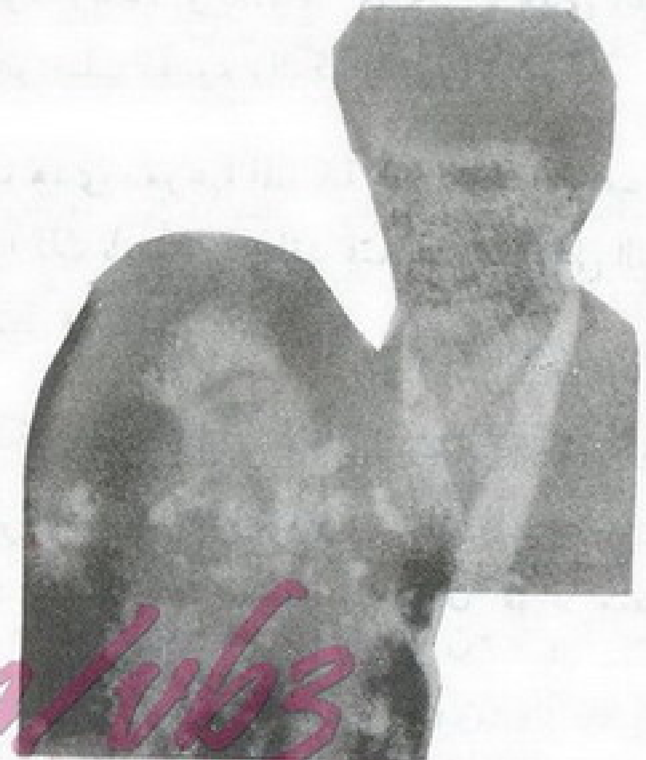
قال : اشكري الله يا ابنتي لانك اكتشفت حقيقة هذا الشاب قبل ان تربطي مصيرك بمصيره ، وقبل ان يصبح زوجك . تصوري يا هدى ماذا كان سيحل بك لو ان فؤاداً منصور أقدم على هذه الجريمة ، وهو زوجك .

فهمست : المصاب يا سيدي لا يتأثر بالتقاليد . فهو واحد في كل آن وحين .

قال المدير : انت الآن حرة ، طلقة ، لست مرتبطة بقيود الزواج الحديدية المرهقة القوية . انت لست مكبلة اليدين يا هدى . غداً ستقعين على من هو أفضل من فؤاد منصور ، شباباً، ووسامة ، وشهامة ، ونبلاً ، ومحتداً .

فهزت هدى نواف رأسها بألم وأسى لتقول : كفاني ما لقيته من فؤاد منصور يا سيدي ، لن أعيدها ولن أكون ضحية مرة ثانية .

ونهضت ، على وهن ، وألم ، وعياء وودعت مدير المصرف



وخرجت تتعثر في مسيرها ، والدموع تكاد تحجب عن عينيها الطريق إلى السيارة الجاثمة امام المصرف بانتظارها .

والقت بجسدها الواهي المرتجف في السيارة وقالت : للسائق عد بي إلى القصر .

وانطلقت السيارة بها مجتازة شوارع بيروت المزدحمة بالناس وبالسيارات ، الا ان هدى لم تكن تشاهد أحداً ، ولا هي ترى شيئا . كانت ترى اولئك الناس اشباحاً سوداء ، وتشاهد من خلال دموعها تلك السيارات جماداً لا حراك بها .

وتسلقت السيارة بهدى تلك الربى الجميلة الخضراء المحيطة





بالعاصمة اللبنانية .

وكانت هدى ترتاح كل الارتياح لمشاهدة ذلك الجمال الرحيب ، جمال الاودية والجبال والصخور والاشجار ، جمال الطبيعة الذي لا يضاهيه جمال ، غير انها يومذاك لم تر ذلك الجمال ، لقد تحولت الوديان في نظر هدى يومذاك إلى اشداق ثعابين كبيرة هائلة سوداء تريد ابتلاعها .

وتحولت الربى الخضراء ، في نظرها إلى براكين من نار مندلعة الالسنة تريد التهامها .

لقد تحول الجمال إلى قبح وبشاعة في نظر هدى نواف .

وهكذا يرى الانسان السعيد ، القبح جمالاً ، ويرى الانسان التعس الجمال قبحاً .

فليس هناك اذن جمال وقبح في الحياة ، الا في نفوسنا وقلوبنا .

فالانسان هو الجمال ، وهو القبح ، وهو السعادة ، وهو الشقاء .

وما ثمة جمال حقيقي في هذا الكون الغريب العجيب الا جمال وجهك يا الله .

وعندما وصلت هدى إلى القصر ، لم تكن تقوى على الكلام ولا على التفكير .

وترجلت من السيارة ، وسارت بخطوات مرتجفة والدموع

تتدحرج على خديها بغزارة ، والعياء يقعد بها عن القيام بأي نشاط فالضربة قاصمة ، والمصيبة هادمة ، مروعة مخيفة .

ودخلت إلى غرفتها ، وأوصدت الباب ، وارتمت على سريرها لتطلق لدموعها ، دموع العذارى اللاهبة ، العنان .

ومنذ ذلك اليوم لم تر هدى نواف للحبيب الخائن الشرير السارق ، المحتال ، فؤاد منصور وجهاً .

***

ودار شريط الذكريات البعيدة المؤلمة الرهيبة في مخيلة هدى نواف ، وهي في جلستها الى الموقد المضطرم اللهب .

فتذكرت ..

تذكرت كيف علم والدها بقصة خطيبها الخائن اللص من الصحف .

وكيف عرفت والدتها قصة فؤاد منصور العابث بقلب هدى الندي ، وبمالها ، وبسمعتها وبكرامتها عبثه بأموال المصرف الكبير .

كان من عادة والدها ان يطالع جميع الصحف كل يوم .

وفوجىء ذات صباح بالصحف تنشر نبأ هرب فؤاد منصور ، الموظف في احد المصارف اللبنانية ، بمال المصرف وبذهبه .



وكان بعض تلك الصحف ناشراً صورة فؤاد منصور مع الخبر .

ولم يشأ سعيد نواف ان يصدق .

كل حساب حسبه لفؤاد الا هذا الحساب . صحيح ان سعيداً لم يكن راضياً كل الرضى عن خطيب ابنته ، وصحيح ان قلبه كان ينذره بأن العرس لن يتم ، وصحيح انه لم يكن يرتاح لهذا الشاب ، الا انه لم يكن يريد له هذا المصير القاتم المدلهم .

وأراد سعيد نواف ان يتأكد من الخبر ، قبل ان يطلع ابنته هدى عليه ، وقد جهل ان هدى وقفت على ذلك الخبر الرهيب قبله ، وامسك بسماعة الهاتف يتصل بمدير المصرف مستوضحاً صحة الخبر .

وأمل ان ينفي المدير الخبر ، ليس حباً بفؤاد ، بل رحمة بابنته هدى التي ستنوء تحت عبء الكارثة المروعة المخيفة .

غير أن المدير خيب أمل سعيد نواف . فهو قد أكد له ما نشر في الصحف عن فؤاد منصور .

وسأل سعيد نواف المدير : هل اعتقله رجال الأمن ؟

ورد المدير : انهم جادون في مطاردته ، ونأمل ان يعتقلوه وان يعيدوا للمصرف تلك الثروة الطائلة التي اختلسها فؤاد .

والقى أبو نجيب بالسماعة من يده ، ونادى اليه زوجته :

تعالي يا شفيقة . تعالي .

وجاءت أم نجيب مهرولة متسائلة : ما بك يا أبا نجيب ؟ .

ودفع سعيد نواف بأحدى تلك الصحف إلى زوجته وتمتم : خذي اقرئي .

وأخذت أم نجيب الصحيفة وقرأت .

وارتجفت ، وتراقصت الصحيفة بين يديها وهي تطالع النبأ .

ولم تستطع أن تكمل القراءة فالتفتت إلى زوجها متسائلة : هل صحيح ما أقرأ يا أبا نجيب ، أم تراني واهمة ؟

وهز ابو نجيب رأسه بأسف وأسى ، وهمس ، صحيح يا أم نجيب صحيح .

قالت : أيكون فؤاد منصور السالب السارق الهارب هو نفسه خطيب هدى ؟

قال : هو ، هو ...

فضربت أم نجيب كفاً بكف وهدرت : واحسرتاه عليك يا هدى . أي حظ تعس هو حظك يا ابنتي .

والتفتت شفيقة إلى زوجها سائلة : ماذا سنفعل يا أبا نجيب الآن ؟ وكيف سنتقي الفضيحة ؟ .

قال سعيد نواف : الأهم من كل ذلك هو كيف سنطلع هدى على الأمر .



فانتفضت أم نجيب وتمتمت : يخيل الي ان هدى وقفت على الأمر يا أبا نجيب ، فهي منذ يومين دامعة العين كسيرة الخاطر لا تكاد تخرج من غرفتها حتى تعود اليها .

قال ابو نجيب : أين هي الآن ؟ أريد ان التحدث اليها .

قالت : انها في غرفتها . سأدعوها اليك .

وهرولت أم نجيب إلى هدى، والقلق والاضطراب يسودان حركاتها لتقول : هدى ! . تعالي يا ابنتي ، والدك يريد ان يتحدث اليك .

فادركت هدى ، ان والدها وقف على الفضيحة ، وهي في قلق وحيرة واضطراب .

ونهضت . وشخصت وراء امها ، إلى والدها ، الذي كان لا يزال يقلب الصحف بين يديه ، والأسف والأسى يطلان من عينيه .

وتكلف سعيد نواف الأبتسام ، حاول ان يبتسم فجاءت ابتسامته واهية كخيوط العنكبوت ، صفراء بلون أوراق الخريف .

وهمست هدى وهي تجلس قرب سرير والدها : بماذا يأمر والدي ؟ .

فرأى أبو نجيب ان يعمد إلى الحيلة ليكتشف سر هدى . هل وقفت على جريمة خطيبها أم لا .

فقال : ما هي أخبار فؤاد منصور يا هدى ؟ هـل يكتب اليك ؟

ولم تجب هدى ، بل هي عمـــدت إلى الصمت العميق تعتصم به .

وتمتم والدها : ما بك يا هدى ؟ . أراك ساهمة ، ساهية ، قلقة الخاطر يا ابنتي .

ولم تجب .. فكأنها لم تسمع ما يقول والدها .

وعاد سعيد نواف إلى الكلام ليقول ممهداً السبيل للتفاهم مع هدى : هل علمت ماذا فعل فؤاد يا هدى ؟

ولم تجب . الا انها أشارت برأسها تعلن انها علمت كل شيء .

وتدخلت امها في الحديث متسائلة : متى علمت بالأمر ؟

فردت هدى : منذ يومين .

قالت الام : ولماذا لم تخبرينا ؟

ـ واية فائدة من اطلاعكم على خبر مؤسف مؤلم كهـذا الخبر ؟ .

فقال ابو نجيب ، محاولاً ان يهون الامر على ابنته : يا هدى يا ابنتي يجب ان نفرح لا ان نحزن لما وقع . فالله سبحانه وتعالى يحبك ، ولذلك فقد اراد عز وجل ، ان ينقذك من التورط في الزواج من فؤاد منصور . هذا شاب لا يصلح زوجاً لك . لقد



أبديت رأيي فيه منذ النظرة الاولى . وانت تعلمين يا هدى ، ووالدتك تعلم انني لم أوافق على عقد الخطوبة الا نزولاً عند الحاحك والحاحها ، واكراماً لخاطرك وخاطرها . كنت على يقين من انك ستكتشفين بنفسك سوء اخلاقه وتدركين ان والدك على حق .

ومضت هدى في صمتها العميق لا تخرج عنه . فهي قد غلبت على أمرها، وليس لديها أية حجة تدفع بها حجج والدها وبراهينه القاطعة .

وعاد ابو نجيب إلى الكلام ليقول : اريدك الآن يا هدى ان تتذرعي بالشجاعة وان تعتمدي الحكمة ، فلا تندفعي وراء الهموم والاشجان . الحياة امامك هانئة سعيدة يا ابنتي . وانت فتاة جميلة ، مثقفة ، غنية ، من اسرة كريمة .. مئات الشبان يتمنون ان تكوني عروساً لأحدهم .

فخرجت هدى نواف عن صمتها العميق البـارد السحيق لتقول : لقد جربت حظي من الشبان يا والدي . فانا لن أعيدها مرة ثانية .

فهاله ما تقول ، وهمس : انك لعلى خطأ يا ابنتي . انتن الابناء لا تؤمنون باراء ابائكم . انتم ، الشبان والصبايا ، يخيل اليكم انكم تدركون ما لا يدرك أباؤكم وامهاتكم ، وانكم متفوقون عليهم في الحكمة والرأي ، وانهم دونكم علماً ومعرفة وثقافة



وذكاء . ولذلك فانتم تعمدون دائماً إلى الخروج عن طاعتهم ، وإلى التمرد على ارائهم ، وإلى الاستبداد بارائكم ، فيقودكم الطيش إلى مهاوي الظلام ، ويدفعكم الغرور إلى وهاد الشقاء .

وكانت هدى مطرقة برأسها تفكر ،وهي تستمع إلى محاضرة والدها دون ان تنبس بحرف .

ومضى سعيد نواف في الكلام ، وقد رأى الفرصة سانحة ليقول : قد تكونون – انتم الصبايا والشبان والاولاد ، أبعد



منا نحن الاباء والامهات ، ثقافة ، واعمق علماً الا ان الحياة ليست علماً وثقافة فقط ، بل هي حكمة وحنكة وخبرة . وما تعلمتموه في مدارسكم لا يوازي نذراً صغيراً ضئيلاً مما تعلمناه نحن في مدارسنا التي هي مدارس الحياة . ولن تدركوا هذه الحقيقة الراهنة الناصعة البياض الا يوم تصبحون امهات وآباء ، ويوم تتخرجون من مدارس الحياة التي تخرجنا نحن منها .

وتدخلت ام نجيب مؤيدة زوجها ، مواسية ابنتها ، قالت تخاطب هدى : والدك على حق يا ابنتي . ولكن ما لنا وللمواعظ الان ونحن في موقف يفرض علينا اتخاذ التدابير لاتقاء الفضيحة .

فاكمل ابو نجيب الحديث ليقول : ليس لنا إتقاء للفضيحة الا ان نعلن خطبة هدى لشاب يكون مقامه في مقامنا ،ومركز اسرته يوازي مركز اسرتنا .

فانتفضت هدى وهي تسمع رأي والدها في اتقاء الفضيحة ، وهدرت : لا . لن اتزوج ، ولن اقع في التجربة مرة ثانية .

فضربت ام نجيب كفاً بكف ،وتمتمت تريدين ان نغرق في الفضيحة الهادمة المروعة ؟ ماذا سيقول الناس غداً يوم ينتشر خبر جريمة فؤاد منصور ، وهو قد انتشر ؟ .. سيقولون هذا المجرم اللص هو خطيب هدى ابنة سعيد نواف ، اترضين بان يكون خطيبك مجرماً لصاً يا ابنتي ؟

فأجابت هدى : أنا لم أقل انني اريده مجرماً ، ولا أعلنت

عزمي على المضي في عقد خطوبتي على فؤاد. لقد قلت: «لن اتزوج» لا من فؤاد منصور ولا من غير فؤاد منصور.

فعاد ابو نجيب إلى الكلام ليقول: اسمعي يا هدى، انا لم احاول يوماً ان أفرض سلطاني عليك، وما حاولت ذلك مع المرحوم نجيب. ولعل عدم فرض السلطان على اخيك، الذي طواه الردى هو السبب في وصوله إلى القبر وإيصالنا إلى الالم والحزن والعذاب لو انني قلت له: «لن تشتري سيارة» لما وقعت الكارثة، لو انني فرضت سلطاني عليه ولو مرة واحدة لما فقدته إلى الابد، لذلك فأنا لست مستعداً ان أضيعك كما ضيعت أخاك. انت ستتزوجين من احد الشبان الذين طلبوا يدك قبل ان تخطبي لفؤاد. هناك فريد بن عزيز بك النائب السابق، وجميل بن الوزير سليمان بك، وسمير بن صاحب المصرف، وسامي بن صاحب مصانع القرميد الشهيرة، وهناك المثري الكبير الذي طلب يدك فرفضنا طلبه كما رفضنا كل طلب قبله وبعده اختاري واحداً من هؤلاء فترتاحين وتريحيننا.

فعادت هدى إلى الهمس: لن اتزوج.. لن اتزوج.

وادركت ام نجيب ان الامر سيتطور بين زوجها وابنتها، وخشيت ان يثور زوجها ويغضب فتذهب ثورة الغضب بحياته هذه المرة، بعد ان ذهبت ثورة الحزن على ابنه بصحته وبعافيته وأقعدته في السرير، فتدخلت بين الزوج والابنة مخاطبة هدى قالت: يا ابنتي يا هدى كوني عاقلة وفكري بمستقبلك. نحن لن





نظل معك، لن نعيش طويلاً. أنا تنهش الامراض جسمي، وأبوك مقعد مشلول. غداً يوم نرحل عن هذا العالم ستصبحين وحدك لا صدر تستندين اليه، ولا زند يحميك في الملمات الصعاب، اذا لم تتزوجي ستقضين حياتك عانساً وحيدة، تعضك الوحشة ويلفك الحزن، وتغمرك الكآبة الباردة الخرساء.

فعادت هدى إلى الهمس: لن اتزوج.. لن اتزوج.

وهمّ والدها بالكلام، وقد بدأت ثورة الغضب تتأهب للاندلاع في صدره، الا ان أم نجيب قطعت عليه الكلام، فقالت مخاطبة ابنتها: ان الصدمة التي أصابك بها فؤاد منصور عنيفة هادمة. انت الآن غائصة في بحر من الحزن، والألم والنقمة على الشبان. لا بأس. غداً يوم تهدأ ثورة غضبك، ويوم تتلاشى غمامة الحزن التي تغمر روحك الطاهرة، ستدركين ان ليس كل شاب «فؤاد منصور»، وما اصابع يديك على شكل واحد يا هدى.

وغمزت أم نجيب زوجها مشيرة اليه بصرف النظر الان عن المضي في الحديث مع هدى. فالجو غير ملائم للتحدث مع هدى الان في قضية الزواج، لا سيما والصدمة التي أصيبت بها ما زالت بارزة الاثر، والجرح في قلبها ما زال ينزف دماً.

ونزل سعيد نواف عند اشارة زوجته، وسكت على مضض،

ووضع النظارتين على عينيه ، وعاد إلى مطالعة الصحف .

ونهضت هدى لتعود إلى غرفتها وتنصرف إلى سكب الدموع الساخنة الحمراء ، هذه الدموع ، دموع العذارى ، التي تحرق من كان السبب في سفحها وانسكابها .

وانتشر خبر الفضيحة ، فضيحة سطو فؤاد منصور ، خطيب ابنة الثري الكبير سعيد نواف ، على مال المصرف ، وهربه مع احدى النساء الساقطات .

انتشر خبر الفضيحة في لبنان ، وتجاوزه إلى خارج لبنان ، الى البلدان ، العربية والاوروبية ، فالجريمة كبيرة ، والمبلغ الذي سطا عليه موظف المصرف اللبناني كبيروهو يشكل ثروة طائلة .

وراح رجال الامن الدوليون « الانتربول » يطاردون فؤاد منصور ، المختلس اللص . وبث رجال الامن في لبنان وفي بعض البلدان الاوروبية والعربية العيون في المطارات والمرافىء باحثين بين القادمين والراحلين عن الشاب المختلس الهارب ، الا انهم لم يعثروا له على أثر . لقد طار فؤاد منصور بالثروة الطائلة بين الارض والسماء ، وكل بحث عنه ذهب أدراج الرياح .

وانزوت هدى نواف في قصرها الشاهق المنيف تبكي حظها المظلم التعس المنكود . هذا الحظ الذي أوقعها في هوى فؤاد منصور وأوصلها إلى أقصى دركات الألم والفضيحة والشقاء .



واختبأت هدى في غرفتها إتقاء للفضيحة الهادمة المرعبة الهوجاء ، فقد أبت الظهور امام الناس ، وتجنبت المثول امام أصدقائها وصديقاتها ، وكلهن من الوسط الارستقراطي الرفيع كي تتقي النظرات الشامتة ، وهي تعلم يقيناً ان الأصابع سترتفع مشيرة اليها ، وتتمتم الشفاه : « هذه هي هدى نواف خطيبة اللص فؤاد منصور ، الذي غدر بها وهجرها وهرب مع امرأة ساقطة »

وهزلت هدى ...

وانتابتها الآلام الجسدية ، كأن آلامها النفسية وجراحها القلبية لا تكفي لإذلالها والقضاء على النضارة في عينيها وعلى النشاط في جسدها ، وعلى الشباب النابض في كل عرق من عروقها ، فبدت شاحبة الوجه هزيلة الجسد تائهة الفكر ، شاردة النظرات .

وما أصاب هدى من هزال وتعب ، وعياء أصاب والديها .

ولكن اذا كانت هدى ، وهي الصبية الشابة القوية قد استطاعت ان تقاوم المرض ، وتتغلب على العياء والهزال . فان والديها العجوزين عجزا عن التغلب على الامراض التي زادها الحزن والأسى اتقاداً في جسديهما الواهيين الهزيلين .

وكان سعيد نواف وزوجته شفيقة يتألمان لألم ابنتهما هدى ويبكيان لبكائها ، ويتعذبان لعذابها .

وبما زاد في ألمها وشقائها هو أن هدى كانت ترفض الزواج وتصر على الابتعاد عن الرجال .

وتقدم كثيرون من الشبان ، وأكثرهم كان طامعاً بمالها . طالبين يدها ، الا ان هدى كانت ترفض ، وتأبى ان تتقيد بقيود الزواج الحديدية المتينة الاسلاك . لقد جربت حظها في أبناء آدم ، وكفاها ما لاقته من التجربة المخططة اللاسعة .

وعاد والدها إلى المحاولة .. فحاول والدها ، وحاولت والدتها اقناعها بالزواج من أحد أبناء الوجهاء الأثرياء ، الا انهما أخفقا في المحاولة ، وفشلا في اقناع هدى .

لقد قالت ابنة سعيد نواف كلمتها . وهي لن تتراجع عنها .

هدى لن تتزوج . ستبقى عذراء ، تعيش على ذكرياتها المؤلمة الدامية الرهيبة في قصر والدها ، حتى يضمها الموت ويطويها التراب .



***

وألقت هدى نواف ، بقطعة حطب في الموقد وراحت تراقب ألسنة اللهيب وهي تلتهم قطعة الحطب .

هكذا مثلما تلتهم النار قطعة الحطب ، التهم الحزن والعذاب والالم والاسى قلبها الندي .



وتذكرت ، وهي جالسة امام الموقد مراحل المأساة .

تذكرت كيف مات والدها .

كانت الليلة ممطرة باردة مثلجة .

والعاصفة عاتية هوجاء .

والثلوج تغمر القصر وتكسو الاشجار حلة ناصعة البياض .

في تلك الليلة المشؤومة استفاقت هدى قبل منتصف الليل بقليل على صوت أمها تناديها : هدى ! . انهضي يا ابنتي .

واستوت هدى في سريرها على ذعر . ليس من عادة امها ان توقظها من رقادها الا لأمر جلل...وتمتمت:ماذا جرى يا أمي ؟

وهمست الام : والدك ... انه تعب لا أعلم ما به .

ووثبت هدى من السرير وأسرعت وراء أمها إلى غرفة والدها.وشاهدت والدها أصفر الوجه والعرق البارد يتصبب من جبينه فنظر اليها نظرات تائهة حيرى ملؤها الخوف والذعر .

وهمس بتلعثم وعياء : هدى ! .. وصيتي اليك ان تهتمي بنفسك و .. و . وبأمك .

فاقتربت هدى من والدها وأمسكت بيده ، فاذا بتلك اليد ترتجف على وهن . وهمست : ما بك يا والدي الحبيب ؟

فرفع يده الصحيحة إلى صدره وأشار إلى قلبه .

قالت : هل استدعي الطبيب ؟

فأشار برأسه نافياً .. ثم أجهد نفسه للكلام فاستطاع ان يهمس : ليس هناك أية فائدة ... لقد قضي الأمر .

واقتربت أمها منها لتقول : أراه متعباً يا ابنتي . أرى ان ندعو الطبيب .

وأسرعت هدى إلى الهاتف لتتصل عبر أسلاكه بالدكتور جميل نصار ، وهو طبيب الاسرة ، وداره الفخمة لا تبعدمسافة طويلة عن قصرهم . ورد الطبيب بنفسه فقالت هدى : ارجو اولا المعذرة على إزعاجك يا دكتور .

فهمس الطبيب متسائلا : ما بكم يا ابنتي ؟

قالت : والدي ... يخيل الي انه في خطر .

قال : انني قادم . دقائق قليلة وأكون عندكم .

والقت هدى بالسماعة من يدها وعادت إلى غرفة والدها فاذا به ضائع الرشد . كان قد دخل في مرحلة الاحتضار ، وكان يحاول بين لحظة ولحظة ان يفتح عينيه فيعجز ، ويحاول احياناً النطق فترتجف شفتاه دون انتنبسا بحرف.

وذعرت هدى وقد أدركت ان الأمر خطير ، وأقامت مع والدتها قرب سرير ذلك الوالد الحنون تنتظران وصول الطبيب على أحر من الجمر .

ولم يطل انتظارهما .. دقائق قليلة ووصل الدكتور نصار .





وفحص الطبيب سعيد نواف ، وهمس : تشجعا ..

وتمتمت أم نجيب : ما به يا دكتور ؟

قال : لقد أصيب بشلل ثان . يخيل الي انه لن يستطيع وهو في هذا السن ان يقاوم النوبة الصارعة .

واشتد الذعر بهدى وتمتمت : ارجوك يا دكتور ..

وقاطعها الطبيب : سأعمل كل ما في وسعي يا ابنتي . الا ان الامل بالطب ضعيف في انقاذه ، وان يكن هذا الامل بالله قوي وكبير .

وعمل الدكتور نصار كل ما في وسعه . فعالجه بعقاقيره ومصوله . ابرة للقلب . ابرة لتقوية الاعصاب . ابرة في العضل ، ابرة في مجرى الدماء . حبوب ، وجرعات ..

الا ان جميع تلك الادوية والعقاقير والابر لم تنقذ حياة سعيد نواف .

وقبل انبلاج الصباح كان ابو نجيب جثة هامدة .

وشعرت هدى بفراغ هائل رهيب وهي تشاهد جثة والدها مسجاة على سرير الموت .

شعرت بانها فقدت شطراً من حياتها .

عندما توفي شقيقها نجيب شعرت بألم هائل عظيم ، وبحزن

عميق لا قرار له ولا حدود ، الا انها لم تشعر بمثل هذا الفراغ المخيف .

ان فقد الوالدين خسارة هائلة كبيرة عميقة ، واسعة الارجاء لا يمكن التعويض عنها . عندما يفقد الابن والده أو امه يشعر عندئذ بانه فقد عمره ، وفقد قلبه ، وفقد الزند الذي كان يحميه والصدر الذي كان يستند اليه ، والقلب الكبير الذي كان يحمل له كل ما في العالم من حب وعطف وشوق وعناية .

وشيعت هدى والدها إلى المقر الاخـير ، وقد تحجرت الدموع في عينيها ، وخرج سعيد نواف من قصره الفخم محمولاً على الاكتاف في نعشه ، وسارت هدى مع المشيعين وراء النعش والثلوج تندف قطنها لتغمر ذلك النعش بوابل من قطع بيضاء . فكأن الطبيعة ارادت ان تشارك هدى في جنازة والدها الحبيب .

هذه هي الجثة الثانية التي تخرج من ذلك القصر .

واقامت هدى مع والدتها المريض في قصرها على وحشة باردة وكآبة خرساء ، يلفها الحزن ، ويغمرها الاسى ، وينسكب عليها الالم وشاحاً أسود اللون ثقيل العبء .

كان كثيرون من الاصدقاء والصديقات يزورونها الا انها كانت تشعر دائماً بانها وحيدة في هذا العالم ولم يعد لأبنة سعيد نواف في هذا العالم إلا امها .

خطيبها غدر بها ، شقيقها مات ، والدها لحق بشقيقها.



ورأت هدى في أمها الأمل الوحيد في هذه الحياة .

الا ان الله أبى سبحانه وتعالى الا ان يحرمها من هذا الامل الوحيد ، فقد تراكمت الأمراض على أم نجيب فأثقلت جسدها وبعثت في أوصالها الوهن والعياء .

ولعل المصائب التي نزلت بتلك الام ساعدت الامراض والاوبئة عليها فاقعدتها في السرير وحولها قوارير الادوية والمصول .

واشتدت الاوبئة والامراض على أرملة سعيد نواف، وأخطرها كان داء القلب ، فأشار الطبيب على هدى بنقلها إلى المستشفى . الا ان أم نجيب رفضت بأصرار الانتقال إلى المستشفى قالت : اذا كان لا بد من الموت فاتركوني أموت هنا في داري .

ولم تشأ هدى ان تخالف ارادة أمها .

فجاءتها بالمستشفى إلى القصر ، جاءتها بطبيب يزورها ثلاث مرات كل يوم ، وبممرضتين تلازمها واحدة في الليل وواحدة في النهار ، وكانت هي تسهر على راحة تلك الأم وعلى معالجتها ، وعلى مدها بالادوية والمصول

غير ان جميع تلك التدابير لم تنقذ حياة شفيقة أرملة سعيد نواف .

وذات صباح شعرت أم نجيب بألم مبرح يقطع قلبها .

وكان الطبيب قربها والممرضتان حولها ، وهدى جالسة على

سريرها والهلع يطل من عينيها .

وهمس الطبيب في اذن هدى : نوبة قلبية عاصفة شديدة يا هدى .أرى ان الأمر خطير .

– ارجوك يا دكتور انقذ حياتها .

قال : ان الطب يقف عاجزاً يا ابنتي عند ما يطل شبح الموت الرهيب . هذا الشبح يشل يد الطبيب ويقصي الطب عن سرير المريض .

ولم تمهل النوبة أم نجيب الا دقائق قليلة ، أوقفت بعدها ذلك القلب الكبير .

وهلعت هدى وهي تشاهد املها الوحيد في الحياة ، ينهار .

وذعرت وهي تلقي نظرة على تلك الام فتشاهدها مطبقة الشفتين ، باردة الجسد ، تخترق بعينيها المطفئتين مجاهل هذه الحياة وامرارها .

وانكبت على صدر امها .

امها ؟ . لا ، على صدرها جثة أمها . هذه ليست امها . امها أصبحت هناك ما وراء الافق القاصي البعيد . هذه جثتها هنا على السرير . اما هي ، امها ، فليست هنا ، انها حيث يقيم شقيقها نجيب ووالدها سعيد نواف .

وخرجت الجثة الثالثة من ذلك القصر .





وخرج معها قلب هدى الكسير الجريح الملتاع الحزين .

واصبحت هدي نواف وحيدة في هذه الحياة . لا أب ولا أم ، ولا أخ ، ولا حبيب .

وصرفت الخدم ، فهي ليست بحاجة اليهم بعد ان اصبحت وحيدة في ذلك القصر .

الا أنها أبقت اثنين منهم في خدمتها : نصور.. الخادم الامين الذي ربي وترعرع في هذا القصر . وفهيمة خادمتها الامينة ومديرة اعمالها الخاصة .

وتجهم القصر بعد ان أقفر من أسياده ومن خدمه .

وتجهم معه وجه هدى ووجه خادمها الامين نصور وخادمتها المخلصة فهيمة .

وانصرفت هدى الى العمل . فراحت تهتم ببساتينها وبحقولها وبمزروعاتها وبالفلاحين وأولادهم .

فكانت تنتقل من حقل الى حقل ومن بستان الى بستان ومن منزل فلاح إلى منزل فلاح تقدم لهم ولزوجاتهم ولاولادهم المساعدات والخدمات وما يحتاجون اليه .

واحبها الفلاحون ، وتفانوا في خدمتها واطلقوا عليها اسم «الست» .

فاذا ما قيل : «الست» عرف الجميع انها الآنسة هدى .

وأبت هدى ان تبرح تلك الربوع ، فلم تكن تدلف إلى

بيروت القريبة من قصرها الا في ما ندر .

أما ذلك المصرف الذي تودع فيه اموالها ، والذي شاهدت بين حناياه ولادة حبها ومصرعه ، فلم تكن لتزوره ابداً .

كان خادمها نصور يتولى ايداع الاموال في المصرف ، أو سحبها منه .

وبدأت هدى تنسى الكوارث الرهيبة التي نزلت بها .

وهذه هي حال البشر على هذه الارض . يخيل اليهم ان المصائب التي تنزل بهم ستهدهم وتمحوهم وتقضي عليهم ، الا انهم أبداً على خطـأ . فالكوارث تزول ، ويمحو الزمن معالمها في النفوس والقلوب وينساها البشر ويكملون المسير في طريق الحياة المليء بالاشواك والحفر والصخور .

وقد قيل : « كل شيء يبدأ صغيراً ثم يكبر الا المصيبة فهي تبدأ كبيرة ثم تصغر » .

وصغرت مصيبة هدى ، او بالاحرى صغرت مصائبها الكبار ، فبدأت تنسى مصرع شقيقها نجيب ، وموت ابيها وامها ، ولم يبق من تلك المصائب الثلاث سوى بقايا من جراح تبعثها الذكريات المؤلمة من حين إلى آخر في نفسها فتثير فيها الحزن والاسى .

غير ان الجرح العميق الذي اصاب به فؤاد منصور قلبها الندي الطهور لم يندمل ، وظل ينزف دماً .



فالمرأة تنسى كل شيء . الا حبها الصريع ، لا سيما اذا كان ثمة في مصرع ذلك الحب ما يسيء إلى كرامتها .

وهدى لم تنس حبها الصريع ، لم تنس ما أصابها في كرامتها المنتاف ، ولا هي استطاعت ان تمحو من خاطرها تلك الذكرى المؤلمة ، ذكرى خيانة خطيبها الممعن في اثخان قلبها بالجراح .

وتحاشت ذكر اسم فؤاد منصور ، فكأنها تريد ان تهرب من هذه الذكرى الدامية ، غير انها ، وان تكن استطاعت ان تمنع قلبها من الحنين اليه ، على الرغم مما فعل فؤاد بذلك القلب ومما أساء اليه .

كان ثمة شيء في قلب هدى قبس من ذلك الحب اللاهب المحرق المضيء .

وكلما مرت بخاطرها ذكرى ذلك الخطيب الخائن نزف جرح قلبها دماً قاني الاحمرار ، فتهمس في سرها : سامحك الله يا فؤاد .

لم تكن ناقمة عليه ، ولا حاقدة . كانت عاتبة عليه فقط . الا انها كانت ناقمة حاقدة على نفسها . لقد اخطأت في اختيار رفيق العمر . كان والدها على حق يوم أشار عليها بالابتعاد عن هذا الشاب ، ليتها نزلت عند اشارة والدها إذن لكانت أخرت وصول القطار الذي رحل فيه والدها وامها .

وخيل لهدى انها قاتلة والديها . هي السبب في موتها ، لقد حملت اليهما الهم والألم والعذاب . هما نزل معهما إلى القبر ،

ومصيبتها قضت عليها، وعذابها كان عذابها الشاق، المضني، المرير .

يا ويلها من غضب السماء يا ويلها .

وأقامت هدى في قصرها الموحش الكئيب ، منقطعة عن العالم ، مستسلمة لذكرياتها الدامية ، ولآلامها الموجعة ، ولدموعها السخية المحمومة الحراء .





## ٣

ماذا حل بفؤاد منصور ؟

وكيف ؟ .. ولماذا ارتكب جريمته المروعة الرهيبة النكراء ؟

هذا ما لم تعرفه هدى بالتفصيل في بادىء الأمر .

كل ما عرفته ، من الصحف يومذاك ، هو ان فؤاداً طار بالثروة الطائلة التي حملها من مصرف بيروت إلى مصرف باريس ، وانه اختطف امرأة حسناء وهرب معها ، عابثاً بكرامته وبشرفه وبسمعته ، وبقلب خطيبته الطاهر الندي .

ولم تقف هدى على تفاصيل المأساة ، الا بعد ثلاث سنوات من وقوع الجريمة .

ومضت ابنة سعيد نواف في استعـــادة الذكريات المخضبة بالدموع .

فتذكرت .. تذكرت كيف جاءت صديقتها هيام الرئبال لزيارتها ذات يوم ، بعد ان عادت مع عريسها من شهر العسل .

وهيام صديقة هدى الحميمة ، ورفيقتها في معهد الراهبات ، ويوم زفت هيام إلى الشاب الثري عادل السامي دعت صديقتها هدى إلى حفلة العرس ، الا ان هدى اعتذرت عن حضور حفلة العرس ، وهي الفتاة الحزين التي توفيت والدتها منذ اسابيع قليلة .

الا انها ، وان تكن قد تخلفت عن حضور حفلة العرس ،فهي لم تتخلف عن القيام بواجباتها حيال صديقتها الحميمة فأرسلت لها هدية ثمينة .

ويوم غادر العروسان بيروت إلى اوروبا لقضاء شهر العسل كانت هدى في وداعهما على المطار .

وبعد ان عاد العروسان إلى بيروت ، شخصت هيام إلى قصر صديقتها هدى نواف ، وفي عينيها أخبار ، خيل لهيام انها تسر صديقتها هدى .

وتعانقت الصديقتان . وجلست العروس تروي لصديقتها ما شاهدته في أوربا من الروائع والبدائع .

ولم تبخل هيام على صديقتها هدى بأخبار العرس ، وما بعد





العرس ، ولا هي بخلت عليها بأخبار العريس ، ولا بأخبار المهنئين والهدايا والتهاني .

واخيراً انطلقت العروس إلى ما يهم هدى ...
إلى أخبار فؤاد منصور ..

قالت : عريسي عادل له أصدقاء في باريس ، وله اعمـــال تجارية ، وهناك في العاصمة الفرنسية الفاتنـــة فرع لشركته ، لذلك فقد اقمنا الشطر الأكبر من شهر العسل في باريس .

واشعلت العروس الحسناء لفافة فاخرة ، نفثت دخانها في الفضاء لتكمل الحديث فتقول : وقفت على ما يهمك هناك ، من أخبار فؤاد منصور .

وانتفضت هدى ، واسم فؤاد منصور يقع منها في الاذنين . وصمتت على قلق وحيرة وارتباك . هي لا تريد ان تسمع بهذا الاسم ، صاحبه مات . كان هناك شاب اراد الزواج منها يوماً أسمه فؤاد منصور ومات .. انتهى صاحب هذا الأسم عند هدى نواف .

غير ان هيام أكملت حديثها قالت : مسكين فؤاد منصور لم يكن ثمة من ينتظر له هذا المصير المظلم القاتم السواد .

ولم تجب هدى ، لم تنطق بحرف ، لم تعلـــق على كلام صديقتها هيام بحرف .

وخيل لهيام ان صديقتها العزيزة تود الوقوف على ما تحمل لها

من أخبار خطيبها الغادر فتابعت كلامها قائلة: لقد وقف عريسي عادل على قصة فؤاد منصور من أولها حتى آخر فصل من فصولها . أحد رجال الأمن الذين تولوا التحقيق مع فؤاد صديقه وقد اطلعه على تفاصيل التحقيق واسراره وخفاياه .

وشعرت هدى برعشة تسري في عروقها ، وهي تستمع إلى حديث هيام .

ومع كل رغبتها في الوقوف على تفاصيل قصة خطيبها الخائن فهي قد همست : لا أريد ان اسمع باسم هذا الشاب يا هيام . ان أمره لا يهمني.

فأمسكت العروس الحسناء بيد صديقتها الباردة المرتعشة لتقول : هدى ! . لا تحاولي التمويه علي ، لا تخدعي صديقتك هيام يا هدى . أنا أعرف انك ما زلت تحفظين لفؤاد منصور قبساً من حب في قلبك المهيض الجناح. انني أعرف خفايا قلبك وانا مثلك امرأة ، لها شعورك واحساسك وعاطفتك .

قالت هدى : لا . لا .. لم يعد لفؤاد منصور مكاناً في قلبي يا هيام . صدقيني اذا قلت لك انني بت أكرهه ، ولا اريد ان ينزل اسمه في مسمعي .

فابتسمت هيام على خبث ومكر لتقول : كاذبة . نحن النساء لا نستطيع ان نكره من احببنا يا هدى . ليس في قلوبنا الطاهرة البريئة مكان للبغض ولا للحقد ولا للكره . اننا نغفر





ونسامح ، وننسى الأساءات التي يطعننا بها الرجال .

قالت هدى : وأية فائدة من الغفران بعد أن طعن فؤاد منصور هذا القلب وأثخنه بالجراح ؟

قالت : نحن لا نرجو فائدة من الغفران . إننا نغفر ونسامح دون ان نطلب أجراً أو ثواباً .

قالت هدى : نحن النساء مظلومات دائماً . نحمل خطايا الرجال ، نبكي فلا نجد منهم من يكفكف دموعنا ، ونتألم فلا نلقى من يداوي ألمنا ، وتثخن قلوبنا الجراح ، فلا نجد منهم من يبلسم جراحنا . وعندما نشاهد من يبكي منهم نشاركه الدمع وعندما يصاب قلب من قلوبهم بجرح نندفع لنبلسم جرحه . نشاركهم الألم والدمع والجراح ولا نلقي منهم الا العذاب والدموع والجراح .

فأدركت هيام ان هدى ناقمة على جميع الرجال . ما فعل فؤاد منصور اهاب بها إلى النقمة على كل رجل من خلال نقمتها على فؤاد منصور .

وتمتمت هيام : اسمعي الان لأروي لك قصة فؤاد منصور بحذافيرها وبكل تفاصيلها .

وصمتت هدى لواف .. وسمعت .

قالت هيام : « كان فؤاد منصور على شرف أثيل و كرامة

متناف وشهامة ونبل .

فهمست هدى مقاطعة : لقد أضاع هذه المزايا كلها في لحظة ضعف .

وتابعت هيام : وشرفه ونبله وشهامته ، كل هذه المزايا الحميدة أهابت بادارة المصرف الذي يعمل فيه في بيروت إلى تكليفه بنقل سبائك الذهب والجواهر إلى المصرف الفرنسي في باريس لأعمال تجارية .

فتمتمت هدى : هذا ما عرفته .

قالت هيام : « اسمعي الآن ما لم تعرفيه ... غادر فؤاد المصرف حاملاً حقيبة جلدية كبيرة تطبق على الثروة الضخمة الطائلة . واستقل الطائرة من مطار بيروت الدولي . وجلس في مقعده الوثير في الطائرة يفكر » ...

فقاطعتها هدى متسائلة : بماذا ؟

قالت هيام : يفكر بخطيئته . يفكر بك يا هدى .

فهزت هدى نواف رأسها هازئة لتقول : مسكينة انت يا هيام.هل تصدقين ان فؤاداً كان يفكر بي ؟ لو أنه فكر بي ، لما فعل ما فعل ، ولما اقترف ما اقترف ولا ارتكب ما ارتكب.

قالت هدى ، وهي تنفث دخان اللفافة في الفضاء : ما أرويه لك الآن هو نص التحقيق الذي اجراه رجال الأمن





ورجال القضاء في باريس مع فؤاد منصور يا هدى . فؤاد قال للمحقق انه كان يفكر بك ساعة استقل الطائرة في مطار بيروت » .

– وماذا قال أيضاً للمحقق الفرنسي ؟

– قال انه لم يأبه لما ومن حوله ، وقد جلس في مقعده في الطائرة .

– ومن كان حوله ؟

– « امرأة حسناء ، ورجل في العقد الخامس من العمر ، وكان الرجل يلهو بمطالعة جريدة سياسية ، وما ان حلقت الطائرة في سماء لبنان حتى كان الرجل ، ابن الخمسين يغرق في سبات عميق ، في حين انصرفت المرأة إلى تسريح شعرها ، والى تزيين وجهها وتخضيب شفتيها بالاحمر وخديها بالأبيض » .

– وكيف علم فؤاد بأنها تسرح شعرها وتخضب شفتيها وتطلي خديها ما دام لم يلتفت اليها .

فابتسمت هدى على مكر وخبث ودهاء لتقول : « هذا ما قاله فؤاد للمحقق ، ولكن يبدو انه بالغ في ما قال . فليس ثمة رجل في العالم لا يلتفت إلى امرأة حسناء تجلس قربه في الطائرة وهي تتزين . ولكن فؤاداً ادعى انها لم تثر اهتمامه وقال للمحقق ان المرأة الحسناء كانت ترمقه من حين إلى آخر بنظرات ملتهبة محمومة ، حمراء،غير انه لم يلتفت اليها . ولما

يئست من إلفاته اليها استلقت على مقعدها الجلدي الوثير وتناولت من حقيبتها لفافة فاخرة القت بها بين شفتيها القانيتين والتفتت إلى فؤاد هامسة : « هل يسمح سيدي باشعال اللفافة » ؟ . .

وعندما أشعل فؤاد لفافتها همست : « انني آسفة لازعاجك، يا سيدي » . .

وكانت تتصرف كالرفيعات من النساء الكريمات .

وبدأ التعارف بين فؤاد منصور وبين المرأة الحسناء باشعال اللفافة ... وانتهى باشعال النار في قلب الموظف الكبير » .

واستوت هيام في مقعدها الوثير لتتابع : « وتم التعارف بينهما . فعلم فؤاد ان رفيقته الحسناء في الطائرة هي الراقصة الشهيرة « لواحظ » وان ذلك الرجل الجالس قربها هو زوجها سليم الجواد .

وعلمت لواحظ ان رفيقها الجالس قربها هو فؤاد منصور الموظف المرموق في المصرف اللبناني الكبير .

والتفتت لواحظ إلى زوجها لتعرفه إلى الصديق الجديد فؤاد منصور فاذا به يغط في نومه وقد وقعت الصحيفة من يده .

وابتسمت لواحظ، وهمست في اذن فؤاد : هو دائماً هكذا. لا يلتفت الي ولا يهتم بي . فانا لا اراه الا نائماً أو يطالع الصحف .





وتنهدت لواحظ ، وارسلت زفرة حمراء وهمست : ليتني استطيع ان أتخلص منه .

ووجم فؤاد . وتساءل : تتخلصين من زوجك .

فأومأت برأسها تشير بالايجاب .

فعاد فؤاد الى السؤال : لماذا ؟ .

قالت : انا لا احبه .

قال : ولماذا تزوجت منه ما دمت لا تحبينه ؟ لماذا تعيشين مع رجل لا ترتاحين ولا تميلين اليه ؟

فعادت لواحظ الى الزفرات تصعدها بحسرة وألم لتقول : إنني مرغمة على العيش معه بالرغم من فارق السن بيننا فهو في الستين ، وأنا في العشرين » .

وضحكت هيام وقد وصلت في رواية القصة الى هذا الحد ، وقالت معلقة : كانت لواحظ كاذبة ، فقد زادت عشر سنين على عمر زوجها وانقصت من عمرها عشر سنين . لقد كان زوجها في الخمسين وكانت هي في الثلاثين . لقد كذبت مرتين . كذبت في عمر زوجها وفي عمرها .

وابتسمت هدى ...

وتابعت هيام : « وسألها فؤاد لماذا تكونين مرغمة على العيش مع رجل هو في عمر ابيك »

فعادت الى الهمس : انه ولي نعمتي ، فهو الذي تمهدني

وأشرف على تلقيني أصول الفن ودربني على الرقص وقام بالدعاية للازمة ، وقادني في طريق الشهرة والمجد .

ونفثت الراقصة لواحظ دخان افافتهـا الفاخرة في الفضاء وعادت إلى الهمس ، وهي ترمق زوجها النائم بعين ملؤهـــا الحقد والاحتقار : ليتني اتخلص منه ... ليتني اتخلص منه .

فأسف فؤاد منصور شديد الأسف لمصيبة « الست » لواحظ بهذا الزوج الذي فرضته الاقـدار عليها ، وارغمتها على العيش معـــه .

وساد الصمت برهة بينهما ، وراح كل منهما يفكر .
كان فؤاد منصور يفكر بخطيبته . بك يا هدى .

وكانت لواحظ ، كما اتضح فيما بعد ، تفكر بفؤاد منصور ، هذا الشاب الوسيم الانيق الجالس قربها ، فيما الطائرة تخترق بها ارجاء الفضاء ، وتقارن بينه وبين زوجها وتتمنى لو ان هـــذا هو الزوج لا ذاك .

ومسحت الراقصة الحسناء دمعة انحدرت من مقلتيهـــا النجلاوين على خديها ، وهمست بعد صمت قصير : ليس هنــاك أصعب ، في الحياة ، من العيش مع انسان لا تحبه .

قال فؤاد منصور ناصحاً الراقصة البائسة : تفاهمي معه على الانفصال يا ست لواحظ . صارحيه بالحقيقة .

فهمست : لا أستطيع . لا أستطيع . هو يحبني ، أنــه



صاحب فضل علي ، وانا وفية مخلصة ، لا أستطيع ان أبادله المعروف بالعقوق . سأروي لك قصتي معـــه ، قصة حياتي البائسة المؤلمة الدامية المغمورة بالدمع والألم والعذاب .

واطفأت افافتها لتشعل لفافة أخرى نفثت دخانها الكثيف في الفضاء .

وفي حين كان الزوج الكهل مستغرقاً في نوم عميـــق كانت الزوجة الحسناء تروي لفؤاد منصور قصتها المؤلمة ، والدمـوع تغمر مقلتيها .

قالت : كان والدي تاجراً كبيراً ، وكنت اعيش في رعايته ورعاية والدتي عيش هناء وسعادة وارتياح . الا ان الشيطان مد اصابعه الى حياتي ليدمرها ، فتعرفت الى شاب خيل إلي انه فارس الاحلام المنشود ، وأبدى ذلك الشاب اعجابـه بي ، ثم صرح لي بحبه وبرغبته في الزواج مني فاشرت عليه بأن يطلب يدي من والدي . وعندما طلب يدي رفض والدي طلبـــه . ذلك لأنه علم أي شاب شرير هو ذاك الشاب ... وصعب الامر علي فاتفقت وإياه على الهرب والزواج . لم أقم وزنـــاً لرأي والدي . كنت حمقاء . ان الابناء كلهم حمقى يخيل اليهم انهم أشد ذكاء وأبعد معرفة من ابائهم وامهاتهـــم ، فيتمردون على اوامرهم ويكونون دائماً الخاسرين .

واستوت لواحظ في مقعدها الجلدي الوثـــير في الطائرة .

لتكمل سرد قصتها المؤلمة لفؤاد . قالت : هربت معه – مع فارس الاحلام– وتزوجت منه ، الا ان هذا الزواج لم يدم سنة واحدة ، ذقت خلالها من ذلك الزوج أمرّ العذاب واشد انواع الآلام . كان يضربني ويشتمني ويحقّرني . ثم طردني من داره طالباً الي ان اعود الى دار والدي واطلب من والدي المال . . . تصور يا استاذ فؤاد . انا التي هربت من دار والدي وتمردت على اوامره اعود اليه طالبة المال لزوجي ، ذلك الزوج الذي أبدى والدي رأيه به منذ اللحظة الاولى .

قال فؤاد : وماذا فعلت ؟

قالت : همت على وجهي . لجأت الى احدى صديقاتي ، ثم علمت بعد مدة وجيزة ان زوجي دخل الى السجن بتهمة سرقة ، وبعد سنة علمت انه خرج من السجن وانه يطاردني ، فهربت إلى دمشق . وهناك في العاصمة السورية الباسمة الهانئة تعرفت الى زوجي . الى سليم الجواد . كان سليم الجواد مدير ملهى ليلي كبير في دمشق ، وكان الملهى بحاجة الى راقصة فتعهدني مدير الملهى سليم الجواد ، ولقنني أصول الرقص على يد فنان كبير ثم . . . ثم اصبحت راقصة بارعة بفضل مدير الملهى سليم الجواد .

وتساءل فؤاد : وكيف تزوجت من سليم الجواد ؟

قالت : وصلني نبأ وفاة زوجي . لقد قتل . قتله شقي





مثله . ومع كل ما لقيت من ذلك الزوج الشرير فقد حزنت عليه ، واصبحت وحيدة في هذه الحياة ، ورأيتني مثقلة ، بالجميل الذي قلدني اياه مدير الملهى سليم الجواد ، لذلك فانا لم اتردد بالموافقة عندما طلب سليم يدي . . وهكذا اصبحت الراقصة لواحظ زوجة سليم الجواد » .

وتوقفت هيام عن سرد قصة فؤاد منصور على هدى لتشعل لفافة ، فتمتمت هدى : كم في هذه الحياة من مآس ! . . . قصة لواحظ أثارت مكامن الاشفاق في قلبي يا هيام

فطفت على شفتي هيام ابتسامة هازئة لتقول : « لا تشفقي عليها . لقد تبين من خلال التحقيق الذي اجراه رجال الأمن الفرنسيون ان لواحظ كانت كاذبة في كثير مما روته لفؤاد منصور . والدها لم يكن تاجراً كبيراً كما ادعت . كان بائع خضار متجولاً وكان يسطو على المحال والمنازل وقد مات في السجن . . هذه كذبة . . وهي لم تكن تعيش في دار والدها عيش بذخ وسعادة وإسراف . كانت خادمة . . . كذبة ثانية . وزوجها سليم الجواد لم يكن مدير ملهى كبير في دمشق ، كان خادماً في مرقص صغير . . كذبة ثالثة . . ولم تصدق إلا في حديثها عن زوجها الاول . فهي قد تزوجت للمرة الأولى من خادم في فرن . وكان شقياً مجرماً . وقد قتله أحد شركائه في سرقة كبيرة .

وارتسمت الدهشة في عيني هدى نواف وتمتمت بتساؤل واستغراب: هذه هي المرأة التي احبها فؤاد منصور. وضحى من اجلها بي، وبشرفه، وبسمعته، وبضميره؟

قالت هيام: هي نفسها.

وانغمست هدى في تفكير بارد عميق كئيب.

وراحت تفكر. تفكر بذاك الخطيب الخائن الذي مال مع أول نسمة عابرة مرت به. أهذا هو الاخلاص والوفاء في الحياة اهكذا يخلص المحبون.

لقد صدق والدها يوم قال لها: «اشكري الله لأنك نجوت من هذا الشاب كيف كانت حالك لو ان فؤاد منصور الخائن اللص المختلس كان زوجك لا خطيبك؟»

وعادت هيام إلى السرد. فراحت تكمل قصة فؤاد منصور على مسامع صديقتها هدى.

قالت: «كما اشفقت منذ هنيهة على الراقصة لواحظ، اشفق عليها فؤاد منصور، والاشفاق قاده الى الصداقة، والصداقة قادته إلى المودة.

وكانت الراقصة لواحظ بارعة في التمثيل. فقد مثلت دورها على فؤاد أفضل تمثيل، مثلت دور المرأة البائسة المعذبة التي ظلمتها الحياة وجنت عليها الاقدار، واستطاعت ان تثير شفقة فؤاد.



وعندما وصلت الطائرة بهم إلى الاراضي الفرنسية كانت الراقصة لواحظ قد استطاعت ان تحرك العاطفة الكامنة في قلب موظف البنك الوسيم.

وحلوا في فندق واحد: فؤاد ولواحظ، وزوجها سليم الجواد.

وكان وصولهم الى مطار «اورلي» في ساعة متأخرة من الليل فشخصوا تواً الى الفندق، وتوجه فؤاد إلى غرفته في الفندق.

وتوجهت لواحظ وزوجها إلى غرفتهما.

والغرفتان قريبتان إلى بعض. فقد حل فؤاد منصور في الغرفة ذات الرقم ١٠٥ وحل الزوجان الكريمان في الغرفة ذات الرقم ١٠٦.

فؤاد جار لواحظ إذن ...

ودخل فؤاد إلى الغرفة وهو متعب مرهق، فالمسافة الشاسعة التي اجتازها بين لبنان وفرنسا في الطائرة متعبة شاقة ارهقته واتعبته.

ووضع الحقيبة الجلدية المطبقة على الثروة الكبيرة في الخزانة واقفل عليها بالمفتاح، ووضع المفتاح تحت وسادته إسرافاً منه في المحافظة عليها.

واستلقى على سريره الوثير ليفكر بحبيبته، بـك انت

يا هدى ، وجنحت به الافكار عن هدى إلى رفيقته في الطائرة وجارته في الغرفة في الفندق ، إلى الراقصة لواحظ : مسكينة لواحظ . بائسة هـذه المرأة الحسناء ، كم قاست ، وكم تقاسي من عذاب الحياة وبؤسها وشجونها .

ولكن .. ولكن ما له ولها ؟ .

لماذا تجنح به الأفكار الجنحة إلى هذه الفاتنة الحسناء ؟ الى هذه المرأة التي تعرف اليها منذ ساعات قليلة ؟ لمـاذا يفكر بلواحظ ؟ .

ليس يدري ...

ان افكارنا تجنح بنا احياناً الى اشخاص يخيل الينا ان لا علاقة لنا بهم ، ثم يتضح لنا ان هؤلاء الاشخاص اقرب الينا من انفسنا .

أيكون تفكير الانسان مظهراً من مظاهر الاحلام ؟ أم تراه وميضاً تضيئه مجاهل الروح في معالم الجسد ؟

ومضى فؤاد في تفكيره بالراقصة لواحظ . كم هي تعسة هذه المرأة . يكفي انها تعيش من رجل لا تحبه . انه منتهى التعاسة والبؤس والشقاء .

ولاحت له دموعها ، تلك الدموع التي ذرفتها وهي تروي له قصتها المؤلمة الموجعة ، فازداد إشفاقاً عليها .





وفيما هو ماض في تفكيره طرق باب غرفتـه طرقات خفيفة .

ودهش فؤاد ..

من تراه يطرق باب الغرفة ؟

وتمتم : من ؟ .

وتعالى صوت حنون ، حنون كالنسيم العليل ، يهمس همساً :

« إفتح يا فؤاد ... »

وعرف الصوت ...

انه صوت لواحظ .

مابها لواحظ ؟ ولماذا تطرق باب غرفته في مثل هـذه الساعة المتأخرة من الليل ؟

ووثب من السرير يفتح الباب .

واذا به امام الراقصة الحسناء وجهاً لوجه .

وكانت ترتدي قميصاً ابيض اللون ، شفافاً يكشف عن محاسن ذلك الجسد البض الجميل ، وقد أرخت شعرها الأسود الطويل على كتفيها ففاحت منه رائحة العطر الزكية .

وقبل ان يسألها : « ماذا تريدين » .

قبل ان ينطق بحرف ، دخلت لواحظ إلى الغرفة واوصدت وراءها الباب .

وكانت شفتاها النديتان تطبقان على لفافة فاخرة فهمست :

هل تسمح بأشعال اللفافة يا فؤاد ؟ .

وكانت تكلمه بدون تكليف .

كأنها تعرفه منذ سنين بعيدة ، وهي تحدق بعينيه كأنها تريد ان تطبع عينيها فيهما .

وكانت النار اللاهبة المحرقة تندلع من عينيها النجلاوين الحالمتين الناطقتين بألف لغة ولغة ، والف نغمة ونغمة ، والف لحن ولحن .

وبدون ان ينطق فؤاد منصور بحرف اشعل لفافة الراقصة الحسناء .

وهمست لواحظ : الارق يستبد بي . حاولت النوم فعجزت . لا اعلم ما بي ، لا أدري ماذا أصابني .

ولم يهمس فؤاد بكلمة . فالمفاجئة ، مفاجئة اقتحام لواحظ غرفته عقدت لسانه .

وجلست لواحظ على المقعد الوثير الوحيد الجاثم في الغرفة قرب السرير .

وجلس فؤاد على السرير .

ونفثت لواحظ دخان اللفافة في الفضاء ، وتمتمت : هل انت متزوج يا فؤاد ؟ .

وتكلم فؤاد منصور اخيراً ليجيب على سؤال الراقصة الفاتنة . قال : لا ... اني خاطب . سأتزوج بعد اسبوعين





ان شاء الله . انني على طريق الزواج .

فعادت لواحظ الى نفث دخان اللفافة لتقول : كم هي سعيدة تلك الفتاة التي ستكون زوجتك يا فؤاد . انني أحسدها عليك .

ولم تترك له مجالاً للكلام فأردفت : انت شاب ، وجميل ، ومثقف و ...

فهمس بخجل وحياء : شكراً على ثنائك ايتها السيدة لواحظ .

كان هو يدعوها « السيدة » ، وهي تدعوه فؤاد ، هكذا فؤاد بدون لقب .

وتابعت لواحظ كلامها قائلة : ستقع فيك تلك الفتاة السعيدة الحظ على كل ما تشتهيه المرأة .

وهزت رأسها آسفة متألمة وهمست : هكذا فلتكن الأزواج ...

وتأوهت لواحظ ، وارسلت الزفرات والتنهدات وهي تذكر الأزواج المثاليين ، واردفت : خطيبتك ستسعد بك ، لن تكون تعسة مثلي في زواجها .

واغمضت عينيها وتمتمت : انني تعسة ، ليس ثمة في العالم امرأة في تعاستي وشقائي . ليس هناك امرأة تعذبت كما تتعذب لواحظ ، يا فؤاد .

قال : ان تكوني تعسة في زواجك فانت سعيدة في عملك وفي حياتك الاجتماعية والفنية . فانت صبية رائعة الجمال، تضفر الشهرة الواسعة فوق رأسك أكاليل الزهر والغار .

قالت : الشهرة لا تضمن السعادة للانسان . كم هناك من انسان يتربع على قمة الشهرة ، ويتسكع في اودية الشقاء ؟ كم من انسان تسلط عليه انوار الشهرة الساطعة ، وقلبه مغمور بدياجير الظلام ؟ من يرني ابتسم واضحك وارقص يخيل اليه انني في سعادة وارفة الظلال واسعة الارجاء بعيدة المدى ، ولكنه لو استطاع ان يدخل الى نفسي لوقف على ما يرعب ويخيف من البؤس والشقاء والعذاب .

قال : ما يشجيك يا سيدتي ؟ وما يشقيك ؟ وما ينغص عليك هذه الحياة الجميلة ؟

فتمتمت : يكفي انني مضطرة للعيش مع هذا الزوج الخامل العاجز العجوز . ليس هناك ما يشقي المرأة مثل اضطرارها الى العيش مع رجل عاجز عجوز ، الحب هو النور الذي يضيء قلب المرأة ويسكب عليه السعادة والهناء .

قال : ولكن هناك عشرات الشبان يتمنون ان يظفروا بابتسامة مضيئة من شفتيك او بنظرة حالمة في عينيك .

فطفت على شفتيها ابتسامة رضى وارتياح، وتمتمت متسائلة: صحيح ؟





قال : وهل تشكين في ذلك ؟ ألم تصادفي في حياتك من يحاول الظفر منك بالابتسامة وبالنظرة ؟

قالت : صادفت الكثيرين من هؤلاء الا انني لم أرتح الى واحد منهم . لم استطع ان اقع على شاب واحد بين عشرات الشبان الذين يحومون حولي كما تحوم النحلة حول الزهرة العطرة والفراشة حول النور المضيء أهبه قلبي واجود عليه بالحب وبالهيام .

قال : انت محبوبة اذن ، وهذا يكفي لسكب ذوب السعادة الهانئة على قلبك .

قالت : لا يكفي ان يكون الانسان محبوباً ، بل يجب ان يكون محباً ايضاً .

ونفثت لواحظ دخان اللفافة في الفضاء .

وعادت إلى التحديق في عيني الشاب الوسيم بصمت أشبه بصمت الهدوء الذي يسبق العاصفة العاتية الهوجاء، وخاف فؤاد منصور .

لقد خاف تلك النظرات الثاقبة التي كانت تخترق قلبه وتثخنه بالجراح .

ورأى ان يتقي تلك النظرات الساحرة بالعودة الى الكلام فقال متسائلاً : لماذا تنظرين إلى الحياة بعين التعاسة، والحياة

فاتحة لك ابواب السعادة .

قالت : هل يخيل اليك يا فؤاد ان الحياة فتحت لي ابواب السعادة ؟

قال : هذا ما يلوح لي وانا اراك امرأة جميلة ، غنية ذات شهرة واسعة واسم يعرفه الجميع .

قالت : انك لعلى خطأ في ما يلوح لك . فأنا امرأة بائسة يائسة حزين .

فتساءل : وماذا يشقيك ويحزنك ايتها السيدة لواحظ؟

وتمددت لواحظ على المقعد الوثير الطويل ، فانحسر الثوب الشفاف عن ساقيها الجميلتين .

وتثاءبت ...

ورفعت يديها إلى ما فوق رأسها ..

واغمضت عينيها نصف اغماضة ...

وتمتمت : تسألني عما يشقيني؟... الأحرى بك ان تسألني عما لا يشجيني ويشقيني يا فؤاد ، الجواب على ذلك سهـل .. هات لفافة .

وقدم لها لفافة واشعلها ..

فنفثت دخانها في الفضاء لتكمل قائلة : كل من وما حولي





يسبب لي المصائب والكوارث والويلات ، ويستفز الدمع السخين من عيني . آه لو تعلم يا فؤاد كم أشقى ، وكم اتألم مع هـذا الرجل الذي اسمه زوجي ، والذي يغط الآن في نومـه العميق تاركاً زوجته الصبية الحسناء عرضة للالم وللعذاب والحرمان .

كم من ليلة قضيتها ساهرة في سريري وهو في سريره قربي مستسلم للكرى العميق السحيق ، كم من ليلة قضيتها اراقب النجـوم السابحة في الفضاء واسألها متى الخلاص من هذا الزوج الكهـل العاجز .. لا تسلني يا فؤاد كم اتعذب وكم اشقى وكم ابكي وكم انوح .

وبدأت الدموع تغمر عينيها النجلاوين لتتدحرج على وجنتيها النديتين فتزيدها جمالاً ورونقاً وفتنة .

وكان المشهد « دراماتيكياً » محزناً ... ان لواحظ بارعة في التمثيل ، لا سيما في تمثيل ادوار الألم والحزن والدموع .

وازداد فؤاد إشفاقاً عليها وهو يشاهد دموعها تتدحرج على وجنتيها .

كلما سكبت الراقصة الحسناء دمعة أحس فؤاد بقلبـه ينفطر ، وبروحه تقترب من هذه المرأة الملتهبة الجسد ، الرائعة الجمال ، هذه المرأة البائسة اليائسة المظلومة الحزين .

وكان الليل قد بدأ يتأهب للأنحدار امـام انوار الفجر

البعيد ، والنجوم بدأت تتوارى وراء انوار الصباح المتأهبة للبزوغ ، وكل شيء هادىء ساكن هاجع في العاصمة الفرنسية المجنونة ، فنظرت لواحظ الى الساعة الذهبية الثمينة المشدودة الى معصمها لتهمس: أوه !.. لقد أشرف الفجر على البزوغ . مضى الوقت سريعاً وانا قربك يا فؤاد .

ومسحت دموعها بكفها ..

وهمت بالنهوض تريد العودة إلى غرفتها فسقطت عن المقعد .

واسرع فؤاد يساعدها على النهوض ، فاذا بالثوب الشفاف الواهي ينكشف عن نهديها النافرين المتحفزين للوثوب .

وحاول الرجوع تأدباً وتهذيباً ، الا ان لواحظ مدت له يدها تستعين به على النهوض والابتسامة الواهية تطفو على الشفتين الحمراوين النديتين .

وعاد فؤاد الى التقدم منها يساعدها على الوقوف ولم تقف ..

بل هي أمسكت بيده تشده اليها .

وغرزت عينيها في عينيه ، فاشتبكت العيون الاربع في نظرة ملتهبة عاصفة ، حمراء .

وأحس فؤاد منصور بقشعريرة ملتهبة تسري في عروقه ،



أحس بالنار تلتهم صدره ، وتلهب أنفاسه ، وتغمر كيانه فكأن سلكاً كهربائياً هزه هزاً وأشعل النار في دمه .

وكانت يد لواحظ ، الممسكة بيده ، محمومة ، تندلع النار منها تكاد تحرق يده . كأن بها ما به ، فالعاصفة العاتية الهوجاء عصفت بهما معاً .

وأحس فؤاد منصور بقوة خفية هائلة .

أحس بجاذبية مخيفة هادمة تجذبه إلى الراقصة الفاتنة النظرات ، الملتهبة الجسد .

ورفعها بين يديه ، فطوقت عنقه بيديها .

وكان ثغرها المحموم ملتصقاً بعنقه ، وشفتاها القانيتان ، كالجمر التهاباً ، فأحس بلهاثها يهب محموماً على عنقه .

وتراخت يداها عن عنقه لتمسكا بشعره تشده فاقترب بثغره من ثغرها ...

وضاع رشده .

ضاع موظف المصرف النشيط بين ذراعي الراقصة الفاتنة .

فاذا بالشفاه الاربع ملتصقة تسلخ قبلة الهوى العاصف والشوق العنيف ، والحب المشتعل المجنون .

وألقى بها على السرير ...

وكانت الليلة المرعبة الرهيبة ، القانية الاحمرار ...

لقد سار فؤاد منصور الخطوة الاولى في طريق الضلال ومشى في طريق الخيانة ، خيانة خطيبته ، خيانتك يا هدى .

وتناسى الخطيبة الطاهرة ، الوفية ، المخلصة ، المقيمة ابداً على انتظار رجوعه الميمون اليها بالخير والسلامة » .



## ٤

ومرت الذكريات المؤلمة الدامية في مخيلة هدى نواف ، وهي جالسة امام الموقد ، في تلك الليلة العاصفة الباردة المثلجة لليلة العيد ...

فتذكرت كيف روت لها صديقتها العروس ، هيام الرئبال ، العائدة من العاصمة الفرنسية ، قصة فؤاد منصور .

وكيف مضت هيام في سرد تفاصيل تلك القصة الرهيبة بدقة وتفصيل .

قالت هيام ، وهي تتابع السرد :

« ما أرويه لك يا هدى هو ما جاء في تحقيق رجال الأمن

الفرنسيين. انها اعترافات فؤاد منصور لرجال الأمن ولرجـــال القضاء : تفاصيل التحقيق مع فؤاد وتفاصيل محاكمته أمـــام القضاء الفرنسيين . انها حقيقة لا مجـــال لأنكارها أو للشك بصحتها .

اسمعي يا هدى تتمة القصة » .

وسمعت هدى . سمعت صديقتها العروس تقول :

« منذ تلك الليلة الحمراء أصبح فؤاد منصور عبداً لشهواتـه ولملذواته وتهتكه .

فقد ملكت لواحظ الراقصة على فؤاد شعوره وحنينـــه ، وامتلكت قلبه ، واستولت على شعوره .

فأحبها ، حباً هائلا ، رهيباً ، وسار في حبهـــا خطوات شاسعة واسعة بعيدة .

وتناسى حبيبته هدى . لقد نسي ان في لبنان خطيبة تنتظر عودته بفارغ صبر ، وان موعد عرسه بعد ايام قليلة .

لقد تناسى فؤاد منصور هدى . وانصرف الى الانغماس في هوى الراقصة لواحظ .

اين هذه من تلك ؟ لواحظ هذه المرأة النارية الجسد تشبـع جوع فؤاد منصور ، وتخمد فيه النار المندلعة السعير .

اما تلك ، هدى نواف ، فهي زنبقة بيضاء ، ليس فيهـــا سوى شذاً .





النشق مباح اما القطف ، أما الطعام فلا ..

وفؤاد منصور بحاجة الى القطف . انه بحاجة إلى الطعـــام يشبع جوعه الجسدي، فهو ليس بحاجة الآن الى الشذا والعطور.

حب فؤاد منصور للراقصة لواحـــظ حب جسدي ، حب ترابي ، مادي .

اما حبه لخطيبته هدى فهو حب سماوي روحي .

لا بأس ، سيقضي اياماً حلوة ، فاتنة ، جميلة، رائعة حمراء، قرب لواحظ قبل ان تكبله قيود الزواج الحديدية القاسية .

سيشبع منها قبل عودته إلى لبنان .

سيرشف كأس الملذات المترعـــة حتى الثمالة ، سيلتهم كل طعام الوليمة الفاخرة ...

ثم.. ثم يعود إلى خطيبته الحبيبة ... هدى لن تضيع منه، اما هذه ، لواحظ ، فستضيع إذا لم يغتنم الفرصة السانحـــة السمحاء . .

لا عليه اذن ، ان هو ارتوى ، الآن ، من الينبـــوع المتفجر شهوة ، ملتهبة ، حمراء .

ونسي الموظف ، القيام بالوظيفة ، نسي، او هـــو تناسى قضاء المهمة التي من اجلها جاء الى باريس .

حب الراقصة لواحظ اعماه ، اعمى بصيرته ، واضاعـــه فتغاضى عن إيصال الامانة إلى المصرف الفرنسي .

قال في نفسه : « لا بأس ان انا لم أوصل الأمانـة اليوم إلى المصرف الفرنسي ، فسأوصلها غداً . المصرف الفرنسي لن يهرب مني ، ولن يفوتني ايصال ما في الحقيبة الجلدية اليه ، اما لواحظ فستضيع مني وتهرب إذا لم ارتو من جمالها ، وارشف من معينها العذب الشهي » .

كان فؤاد منصور مشغولاً بلواحظ .

اليوم للحبيبة لواحظ ، وغداً سيكون للعمل .

إلا ان الغـد ، الذي سيكون للعمل ، لم يطل ، ولم يكن للموظف النشيط متسع من الوقت لقضاء مهمته . فهو ابداً مع الراقصة الحسناء .

وقضى فؤاد اسبوعاً كاملاً مع لواحظ متنقلاً من ناد إلى ناد ومن مقهى إلى مقهى ، ومن فندق إلى فندق .

وفي الليل ، في أواخر الليل ، مع مطلع الفجر يعودان معاً إلى الفندق ، إلى غرفة فؤاد حيث يقضيان معاً ما بقي من الليل ، وما أطل من الصباح .

أما الزوج ، زوج الراقصة لواحظ سليم الجواد ، فلم يكن ليرى زوجته إلا دقائق قليلة ، عندما تدخل إلى غرفتها في الفندق لترتدي ثيابها .

وسليم رجل متحرر ، فلا هو غيور ، ولا هو رجعي متصلب ، انه حرسه الله ، من اولئك الرجال الذين لا يسمعون ،



ولا يرون ، ولا يتكلمون . كل ما يهمه من الحياة ان يجد جيبه عامراً بالمال فلا يزعج زوجته ، ولا هي تزعجه . انهما متفاهمان متفقان مرتاحان .

وهذا التفاهم بين الزوجين أراح فؤاد. فلم يكن سعيد الجواد ليزعجه ويعكر صفو خاطره فانغمس في هوى لواحظ يرشف من المعين العذب ولا يرتوي .

وكلما مضى يوم شعر فؤاد منصور بأنه يزداد انجذاباً إلى لواحظ ، وانغماساً في حبها الأثيم .

وكانت الراقصة الملتهبة الانفاس ، الشهية الجسد ، تسرف في الاغداق على فؤاد منصور ، من قلبها ، ومن جسدها ، ومن شفتيها .

فهي تحبه ، وتتفانى في حبه .. همساتها في أذنه ، تثبت له حبها ، وقبلاتها المحمومة تؤكد له غرامها به . فهي تجيد الهمس ، وتتقن التقبيل ، والهمس والتقبيل من حرفتها وصنعتها ومهنتها .

وكلما ألقت برأسها الواهي الجميل إلى صدره العامر بالشباب تهمس في أذنه : « فؤاد ... انني احبك ، احبك بكل ما يستطيع قلب امرأة ان يحب ويهوى . لم احب يوماً في حياتي مثل هذا الحب العاصف اللاهب المحرق الرهيب » .

وينتشي فؤاد منصور بهذه الهمسات ، ويطوب لهـا ، ويضيع .

وتدرك لواحظ اي تأثير تركت همساتها في قلب عشيقهـا فلتزيده همساً : « فؤاد !.. إنني لأحس بالحياة تعود إلي ، بعد ان هجرتني الحياة زمناً طويلاً قرب هذا الزوج البارد العجوز ، أحس بالحياة ، وألمس سعادتها بيدي كلما طوقتني بذراعيك القويتين ، وكلما طبعت شفتيك على شفتي أحس بروحي تذوب في روحك ، وبانفاسي تتلاشى في انفاسك ، وبقلبي يشتعل ناراً بحبك المقدس » .

ويضيع فؤاد ، وهمسات لواحظ تنغ منه في الاذنين فتعود الراقصة الفاتنة الى الهمس : « آه يا فؤاد لو يسعدني القدر بقضاء ما بقي من عمري بين ذراعيك » .

وتطوقه بذراعيها البضتين النديتين ، الواهيتين وتنهال عليه بالقبل ..

وتضمه إلى صدرها المضطرم ...

وتلتصق به على جوى ونار ...

فيذوب قلب فؤاد حناناً وهياماً وحباً ، ويغيب في عالم آخر قصي بعيد ، انه عالم الملذات الحمراء ، والثورة الملتهبة العاصفة الهادمة .

ولم يعد فؤاد منصور يملك زمام أمره ، فالزمام أصبح بيد



لواحظ ، فهو يكاد يكون عبداً لها .

ما عليها إلا ان تأمر كي يطيع وينفذ الأمر .

ويفيق فؤاد منصور من سكرته ، من سكرة الحب الاثم الوضيع إلا ان لواحظ كانت تعيده فوراً إلى « السكرة ».

وكلما حاول العودة إلى رشده ، واكمال السير في الطريق المستقيم وثبت الراقصة الماجنة تشد به إلى طريق الضلال .

وكانت توهمه انها تضحي بشرفها وبشرف زوجها من أجله ، وانها تهرب من فراش الزوج إلى فراشه : « ... ويا ويلي لو علم سليم بأمر خيانتي . فهو مجنون ، يذبحني من الوريد إلى الوريد » .

ويؤمن فؤاد بما تقول لواحظ ، ويصدق ان زوجها حريص على شرفه ، وانه يذبحها إذا علم بخيانتها .

وبدأ ضميره يستيقظ ، وقد خشي ان يكتشف سليم الجواد خيانة زوجته فيذبحها ، ويكون هو الجاني عليها ، فرأى ان يبتعد عنها اكراماً لها ، وحرصاً على حياتها .

الا انه لم يستطع الابتعاد عن لواحظ .

وكان يفكر من حين إلى آخر ، بتلك الحقيبة الجلدية السوداء الذي يخفيها في درج الخزانة ، فيعزم على حملها إلى المصرف ، والتخلص منها .

وكل مساء يعزم الموظف النشيط على السير ، في صباح اليوم

الثاني إلى المصرف الفرنسي لأيداع الجواهر الثمينة والمال الوفير ، والعودة إلى لبنان .

وينام بين ذراعي لواحظ على أمل تحقيق ما عزم عليه في الصباح .

سيتعذب لفراق لواحظ .

لا بأس ... عذاب ساعة ولا كل ساعة : غداً مع مطلع الصباح سيشخص إلى المصرف ، حاملاً إليه الحقيبة ، ويقـوم بالمهمة التي انتدب للقيام بها .

الا ان لواحظ لا تترك له مجال تنفيذ ما عزم عليه ، فما ان يطل الصباح حتى تثب الراقصة لواحظ اليه تطوقه بذراعيها وتغمره بقبلاتها ، وتدعوه للسير برفقتها إلى المنتزهات والملاهي والنوادي .

ولم تكتف الراقصة الحسناء بارغام فؤاد منصور على مرافقتها إلى النوادي والملاهي .

لا .. فهي قد ارغمته على مرافقتها إلى نوادي المقامرة وقادته إلى ناد كبير للمقامرة ، ذات ليلة ، ودعته للجلوس قربهـا إلى المائدة الخضراء .

ولواحظ ، حرسها الله ، مقامرة ماهرة ، عريقة في اللعب ، وفي السهر ، وفي المقامرات .



وتلك الليلة لقنت لواحظ فؤاداً أصول الميسر ، ودعته إلى تجريب حظه ...

وجرب فؤاد حظه ... وحظها .

وكان الحظان من اتعس الحظوظ تلك الليلة فخسرت لواحظ كل ما معها من نقود .

وخسر فؤاد كل ما معه .

ووجمت لواحظ وقد فرغت محفظتها من النقود .

وذعر فؤاد .

انها المرة الاولى التي يقامر بها في حياته ، يقامر ، ويخسر ايضاً .

وتلفتت الراقصة المقامرة إلى عشيقها تسأله : ما العمـل يا فؤاد ؟

ولم يستطع ان يجيب فؤاد منصور على سؤال لواحظ المحرج الغريب . فهو يجهل ما العمل .

فتساءل هو ايضاً : ما العمل يا لواحظ ؟..

وقلبت « الست » لواحظ شفتيها ، وهزت كتفيها ، وهي تجيب على سؤال فؤاد منصور : لست ادري ما العمل .

ووقفا حائرين ، واجمين مضطربين ، وهما يجهلان كيف يخرجان من المأزق الحرج ، وكيف يستطيعان اتقاء الفضيحة التي تزحف اليهما هادرة ، عاصفة ، هادمة .

فلا هو يملك مالاً ، ولا هي .

وهما غريبان في العاصمة الفرنسية الهوجاء الزاخرة بالغرباء امثالهما .

وتساءلا : كيف سيعودان الى الفندق ؟

وهب انهما استطاعا العودة إلى الفندق سيراً على الاقدام ، فكيف سيكون مصيرهما وهما لا يملكان « فرنكاً » واحداً .

واشتد الذعر بفؤاد منصور ، وقد تمثل نفسه شريداً طريداً في شوارع باريس يمد يده للسؤال من كل عابر سبيل .

وشاهد بعين الخيال مدير الفندق يمسك بعنقه ليسلمه لرجال الشرطة بعد ان يدرك انه عاجز عن تسديد حسابه في الفندق الفخم الانيق .

وشاهدت لواحظ فؤاداً يقف على حيرة وذعر ووجوم فاقتربت منه تهمس في اذنه : لا تخف يا حبيبي . سأتدبر الأمر .

— كيف ؟

قالت : سأفتش عن عشيق ، عن معجب ، عن رفيق بين هؤلاء الشبان الذين يلتهمونني بعيونهم ، ينقذنا مما نحن فيه . الأمر بسيط عند لواحظ . لن تعجز عن الوقوع على عشيق يمدها بالمال .

وانقلب ذعر فؤاد الى غضب شديد ، الى ثورة لاهبة حمراء



فهدر : عشيق ؟ . هل جننت ؟ .

قالت وهي تمسك بيده تشدها : ليس هناك إلا هذه الوسيلة يا فؤاد .

— لا . . هذا ان ولن يكون يا لواحظ .

وللمرة الاولى يشعر فؤاد منصور بنار الغيرة اللاهبة تلتهم فؤاده فتحرقه .

انه يحب لواحظ ، ولا يستطيع ان يتخلى عنها لانسان . هذه المرأة احتلت من قلبه الصميم ، وتربعت من فؤاده الهائم الولوع في أعلى مقام .

وساد الصمت برهة بينهما .

وراح كل منهما يفكر بوسيلة تخرج بهما من هذا المأزق الحرج الذي أوقعهما فيه حظهما البائس المنكود .

وعادت الراقصة لواحظ إلى الكلام بعد صمت قصير لتقول : ليس لنا إلا ان نستنجد باحد هؤلاء الشبان .

فعاد فؤاد إلى الغضب وتمتم بحزم وحنق : لا . . قلت لك لا . لن تكوني لرجل غير فؤاد .

وعجب فؤاد منصور من نفسه كيف ينطق بهذا الوعيد . كيف يريد ان يحتكر لواحظ ، ولواحظ كانت ولا تزال « مشاعاً » للجميع .

فردت لواحظ ، وقد ارتاحت كل الارتياح لما لمسته من

غيرة فؤاد : أتريدني ان اكون لك وحدك ؟

فتمتم : أجل . هذا كل ما اريد .

ورأت الفرصة سانحة للمساومة ، فقالت : اذن عليك ان تكون لي وحدي .

قال : وهل يلوح لك ان هنـــاك من تشاركك في قلبي يا لواحظ ؟

– أجل ..

– من ؟

– خطيبتك .. ألم تقل لي ان هناك خطيبة تنتظر عودتك في لبنان ؟

فأدرك فؤاد منصور ، انه سار شوطاً بعيداً مع هذه المرأة الداهية ، وانه اصبح من الصعب عليه ان يتراجع .

وتلعثم فيما يجيب : صحيح يا لواحظ ان هنـــاك خطيبة ، ولكنها فى لبنان ، وغداً يوم اعود اليها يكون لك الحق في ان تتصرفي بقلبك وبجسدك ،أما الآن ، فما دمت قربك ، وما دمت أخلص في حبك ، فليس لك ان تسلكي معي طريق الخيانة .

فقلبها ، وأفحمها . انه لعلى حق .. فهو يريدهـــا الآن له وحده ، وسيكون لها معه شأن يوم يعود الى لبنان . هـــذا إذا عاد ...

وأشعلت الراقصة الحسناء لفافة ، راحت تنفث دخانهـــا



بصمت بارد وبتفكير عميق .

واشعل فؤاد ايضاً لفافة وراح يفكر ..

وأعادته لواحظ إلى الواقع المؤلم بعد صمت قصير لتقـــول متسائلة : ماذا نستطيع ان نعمل الآن لنحصل على المـــال يا فؤاد ؟

فرد ، وهو ينفث دخان لفافته : لست ادري يا لواحظ . لست ادري .

فاستوت الراقصة الفاتنة في جلستها على المقعد الوثير لتقول: اسمع يا فؤاد لقد لاح لي خاطر سريع .

فتساءل : ما هو ؟

قالت : سأسرق .

فانتفض فؤاد منصور وتمتم متسائـلا بدهشة واستغراب ، وكأنه لا يصدق ما يسمع : تسرقين ؟

فلاحت على شفتيها ابتسامة صفراء . وهمست : اطمئن . الذي سأمد يدي الى ماله ليس غريباً عني .

قال : من هو ؟

قالت : زوجي ... سعيد يملك مبلغاً ضئيلا من المـــال ، سأسطو عليه . انتظرني هنا .

ولم تترك له مجال الاعتراض فنهضت ، واطفأت لفافتهـــا وهي تقول : لن أغيب طويلا .

قال : ولكن كيف ستشخصين إلى الفندق ، وانت لا تملكين اجرة « التاكسي » .

فضحكت وهي تقول : الامر بسيط . سأستقل سيارة تذهب بي إلى الفندق ، وتنتظرني ريثما استولي على المال واعود بها الى هنا . الآن انا لا املك « فرنكاً » واحداً ولكن بعد نصف ساعة سيكون بيدي الف « فرنك » .

وصمت فؤاد ...

وكان صمته موافقة على « مشروع » لواحظ .

صحيح ان السرقة امر شائن إلا انها على كل حال هي افضل من استسلام لواحظ الى شاب من هؤلاء الشبان الذين يغص بهم نادي المقامرة .

وأمسكت لواحظ بيده الباردة تشده هامسة : لن يطول غيابي . إلى اللقاء القريب يا حبيبي .

فهمس : الى اللقاء ...

وأسرعت لواحظ إلى الفندق .

وأقام فؤاد منصور على انتظار ممض ، قلق ، حائر وراح يتمشى في ردهة النادي الرحبة ، وهو يدخن ويفكر بقلق منتظراً عودة لواحظ بفارغ صبر .

وطال غيابها ، فبدأ قلقه يتحول الى خوف وذعر .

وخشي الا تعود ..





ويله . اذا لم تعد لواحظ كانت الضربة قاضية .. فجيبه يخلو من المال . وهو لا يملك أجرة العودة إلى الفندق ، ولا يملك ما يسدد به ديونه في النادي ، وهي ديون تراكمت عليه بسبب الخسارة الفادحة المتوالية .

وهناك الخادم وقد بدأ يحدجه بنظرات لا تخلو من الريبة ، وهو يشاهده في حيرته وقلقه .

وللخادم حساب في ذمته ثمن طعام وشراب له وللواحظ .

واذا لم ينقد الخادم الحساب ، سيصل حتماً إلى رجال الشرطة ، أو بالأحرى سيصل رجال الشرطة اليه ، والخادم الخبيث يعرف كيف يوصلهم اليه ، أو يوصله اليهم .

وتأفف فؤاد منصور ، وتبرم وقد طال غياب حبيبته لواحظ . ما كان أغناه عن هذه المغامرة التي جرته اليها عشيقته الراقصة وأوصلته إلى هذا الموقف الحرج .

وهمس في سره : سامحك الله يا لواحظ .

وجلس على وهن ورعب وتفكير : هل تعود لواحظ ؟

لا .. لن تعود ..

لقد نجت بنفسها ، وتركته في النادي ، عرضة للفضيحة والعار . يا لها من امرأة بارعة في التخلص من المآزق.

ولكن ... ولكن لواحظ امرأة شريفة ..

وهي تحبه ...

لن تتخلى عنه ..

ستعود ولا شك .

الا ان غيابها طال ، فعصفت في قلب فؤاد منصور الشكوك والظنون : لن تعود لواحظ .. لن تعود .

وراح يرمق الساعة المشدودة إلى معصمه بقلق . لقد مضى نصف ساعة على غياب لواحظ ... نصف ساعة وخمس دقائق .. مضى ثلثا الساعة .. بعد دقـــائق خمس ستنقضي ساعة على غيابها .

لقد قالت له انها ستعود بعد نصف ساعة ، وها قد انقضت ساعة كاملة على غيابها وهي لم تعد ..

لن تعود لواحظ ..

ماذا عليه ان يفعل اذن ؟

ماذا ؟ ... عليه ان يجابه الموقف بشجاعة . سيدعو الخادم اليه ويعرض عليه ساعته . سيقول له : أنا لا أملـــك فرنكاً واحداً . خذ الساعة تسديداً لحسابك .

ولكن هل يكفي ثمن الساعة لتسديد الديون ؟

لا .. لن يكفي ..

ماذا سيحصل اذن ؟

سيمسك الخادم به ويقول له بكل بساطة وهدوء : « تفضل معي يا سيدي إلى المخفر » .



أو يقول : « لن تذهب من هنا قبل وصول رجال الشرطة » .

وفي كلتا الحالين سيكون مصيره السجن .

واستغرق في التفكير ، وكادت الدمعة تطفر من عينيه .

وفيما فؤاد غارق في تفكيره الممض المقلق الرهيب العميق أطلت لواحظ ، والابتسامة الهادئة تطفو على شفتيها .

وتنفس الصعداء ، وهمس : الحمد لله ... لقد حلت المعضلة ، ونجوت من رجال الشرطة .

واقتربت لواحظ منه والابتسامة الهانئة لا تفارق شفتيها الندييتين .

وهمست : خذ يا فؤاد .. لقد سرقت هذا المبلغ الضئيل من زوجي ، وهو نائم في الفندق مستسلم للاحلام .

وبيد ترتجف تناول فؤاد منصور المبلغ من يد لواحظ . الف « فرنك » يكفي لتسديد الديون والعودة إلى الفندق بسلام .

غير انه فوجيء بلواحظ تقول : سنجرب حظنا بهذا المبلغ

قالا : لا سنسدد ديوننا ونعود أدراجنا يكفي ما خسرناه الليلة

فتأبطت ذراعه هامسة : لا .. لن نعود قبل ان نستعيض ما خسرناه . لا تنس انني سرقت هذا المبلغ من زوجي ويجب ان أعيده اليه .

***

كانت هدى تستمع إلى قصة خطيبها الخائن ترويها صديقتها هيام ، بصمت وألم : إلى هذه الدركات وصل فؤاد منصور ؟ .

وأكملت هيام السرد . قالت : « لقد كذبت لواحظ على فؤاد .. هي لم تسرق المبلغ من زوجها . كانت لواحظ تملك المال الوفير. حقيبتها في الفندق ملأى بالاوراق النقدية ، وزوجها المسكين ، لا « يمون » على فرنك واحد .. المال كله لها ...
غير ان فؤاداً آمن بما قالت ، وصدقها . فهي في نظره صادقة لا تعرف الكذب ، ولا تجيد الخداع .

قال : أفضل ان نسدد ديوننا ونعود إلى الفندق ، وان أعيد لزوجك هذا المبلغ بعد ان أعود إلى بيروت .

الا انها لم توافقه الرأي ، قالت : لا .. لن نعود إلى الفندق قبل ان نجرب حظنا مرة أخرى .. تعالَ .

ولم يكن له ان يخالف لها أمراً .. فسار معها كما يسير الحمل مع الراعي .

وعادا إلى الجلوس إلى المائدة الخضراء ، يجربان حظهما .

وحظهما هو هو ؟.

والنحس يأبى ان يفارقهما .

فتوالت الخسارة .

وطار المبلغ الضئيل بسرعة فائقة .





وعاد فؤاد منصور إلى الخوف والرعب ، والذعر والتفكير والاضطراب .

وعاد إلى التساؤل : ما العمل يا لواحظ ؟ .

– لست أدري يا فؤاد ...

وخارت قوى فؤاد منصور ، وقد أدرك أي مصيبة هائلة حلت به الان .

انها المرة الثانية التي يتورط بهما . في المرة الاولى انقذته لواحظ ، فمن تراه ينقذه الان ؟

وأدرك انه لن يستطيع الخروج من المأزق الحرج الان ، هو لن ينجو هذه المرة من رجال الشرطة . سيكون مصيره السجن ومع السجن الفضيحة .. يا ويله .. يا ويله ...

وجلس قرب لواحظ المتجهمة الوجه ، المقطبة الجبين ، النافثة دخان لفافتها على هم ووجل وقلق واضطراب .

وانغمسا في صمت بارد وتفكير عميق ، فالمصيبة النازلة بهما ربطت لسانيهما ، وحطمت الكلمات على شفاههما .

وبماذا كانت تفكر الرقصة لواحظ ؟ ..

ليس هناك من يدري ...

اما فؤاد منصور فقد كان تفكيره منصرفاً إلى البحث عن وسيلة ينجو بها من رجال الشرطة ، وينقذ معه حبيبته لواحظ . لقد انقذته لواحظ في المرة الاولى ، وعليه ان ينقذها هو الان ..

لقد سرقت لواحظ مال سليم الجواد ، مال زوجها ، لتنقذه ، فمن تراه يسرق هو لينقذها .

واستغرق في التفكير ، وهو يدخن بقلق ، وينفث الدخان فيتصاعد ليعقد أجنحة من ضبــاب في فضاء القاعة الواسعة الارجاء .

واذا بخاطر بعيد يلوح له ، من خلال الضبــاب المعقود في الفضاء .

انه خاطر مرعب ، هائل مخيف .

وارتعد فؤاد منصور ، والخاطر يطرق تفكيره .

وهمس في سره : لا ، لا .. هذا لن يكون . لن أمد يدي إلى أموال ليست لي . هذه الأموال هي اموال المصرف ، وعلي ان اسلمها إلى المصرف الفرنسي كاملة . لن أمسها ، لن أمــد اليها يداً .

ولكن.. ماذا عليه ان هو أخذ مبلغاً ضئيلاً من المال الرابض في الحقيبة الجلدية السوداء لينقذ نفسه، وينقذ معه حبيبته لواحظ ألم تمد لواحظ يدها إلى مال زوجها لتنقذه؟ فليرد لهــا الجميل . انقذته . وعليه ان ينقذها وينقذ نفسه .

واضطرب وارتبك ، وقلق ..

وشاهدته لواحظ في قلقه ، وارتبــاكه ، واضطرابه ، فامسكت بيده تشدها هامسة : ما بك يا فؤاد ؟ بماذا تفكر ؟ .

وشعر فؤاد بالأرض تميد تحت قدميه ، وهو يجيب لواحظ :



لا شيء .. انني أفكر بالخروج من هذا المأزق الحرج الرهيب يا لواحظ .

قالت يجب ان نحصل على المال باي وسيلة .

فتساءل : كيف ؟ .

قالت ويدها المحمومة تشد يده الباردة : دعني أهب جسدي لأي رجل وأحصل على المال.

فاحتدم الغضب في صدره ، وهدر : لا ، لا ، لا ، قلت لك هذا لن يكون ، وأنا على قيد الحياة .

قالت : هذه هي الوسيلة الوحيدة يا فؤاد .

فهاله ما تقول ؟ أيتركها تتاجر بجسدها من أجله ؟ أتبلغ به النذالة إلى هذا الحد ؟ . لا .

وعاد الخاطر المقلق المخيف يعصف به .

وعادت لواحظ إلى محاولة اقنــاعه بالموافقة على المتاجرة بجسدها .

وهبت العاصفة العاتية في صدره ، وكاد يضيع في مجاهل تلك العاصفة الهوجاء . عليه ان يختار اما ان يمد يده إلى أموال المصرف ، واما ان يحل في السجن ، وتحل معه لواحظ أيضاً .

واختار ...

والتفت إلى لواحظ قائلاً : مهلاً يا لواحظ . أنا سأحصل على مبلغ من المال ..

فتساءلت : كيف ! ومن أين ؟ .

قال : هذا أمر لا يعنيك ... انتظريني هنا . سأعود بعد نصف ساعة ... نصف ساعة فقط .

وهمست لواحظ : رافقتك السلامة يا حبيبي .

وهرول مسرعاً إلى الفندق ، وهو يفكر : سيمد يده إلى الحقيبة ، ويأخذ حفنة صغيرة من الذهب ويجرب حظه وحظ لواحظ للمرة الأخيرة . وسيربح هذه المرة ، ليس للحظ ان يخونه دائماً ، وعندما يربح يعيد الذهب إلى الحقيبة .

وفي الغد ، مع مطلع الصباح ، سيحمل الحقيبة ويسرع بها إلى المصرف الفرنسي ويسلمها لأصحابها .

ووصل إلى الفندق ، والأفكار تتراقص في رأسه على مد وجزر .

واتجه مسرعاً إلى غرفته في الفندق ، وتناول مفتاح الخزانة من تحت الوسادة ، وفتح الخزانة ، ليرفع الحقيبة من الدرج بيد مرتجفة واهية .

وتردد قليلاً ، قبل ان يفتح الحقيبة الجلدية ويغرف منها حفنة من الذهب الأصفر اللامع الوهاج .

وأخفى الذهب في جيبه ، واعاد الحقيبة إلى الدرج في الخزانة واقفل الخزانة بالمفتاح ووضع المفتاح تحت الوسادة ، وأسرع



بالعودة إلى النادي حيث تنتظره الحبيبة لواحظ على أحر من الجمر .

وكانت لواحظ جالسة في الردهة تدخن ، فأسرع والابتسامة تسبقه اليها .

وسألته : ماذا فعلت يا فؤاد .

فنفحها بحفنة الذهب قائلاً : خذي يا لواحظ لقد حصلت على هذه الحفنة من الذهب .

فدهشت الراقصة الحسناء ، والذهب يتناثر من يد فؤاد إلى يدها .

وتساءلت بدهشة واستغراب : كيف ؟ . ومن اين لك هذا يا فؤاد ؟ .

قال مضللاً : استدنتها من صديق ، ويجب ان أعيدها اليه قبل انبلاج الفجر .

فلمعت الفرحة في عينيها ، وأمسكت بيده لتجره هامسة : تعال . ان نكن خسرنا في المرات السابقة ، فنحن سنربح هذه المرة ، ونعوّض ما خسرناه ، وتعيد لصديقك ماله مع مطلع الصباح . تعال يا حبيبي ، تعال ،

وقادته إلى المائدة الخضراء .

ولعبت لواحظ ...

وقامرت بالمال المسروق على أمل ان تربح وتعوض ما خسرته ، الا انها لم تربح .

لقد طار المبلغ ، طارت النقود الذهبية ، وتبخرت ، كما طارت وتبخرت قبلها « الفرنكات » الفرنسية . فالحظ السيء أبى ان يبتعد عن الراقصة وعشيقها تلك الليلة .

ووجم فؤاد منصور ، وهو يشاهد حفنة الذهب تتضاءل امام لواحظ .

وتحول الوجوم في عينيه إلى ذعر ، وهو يشاهد النقود الذهبية تطير ..

ووقف ينظر إلى المائدة الخضراء ، وإلى اللاعبين ، وإلى لواحظ برعب وخوف . يا ويله .. لقد سرق مال المصرف وسيلقي رجال الأمن القبض عليه ويزجونه في غياهب السجون .

ولمست لواحظ الخوف والرعب في عيني عشيقها فتقدمت منه هامسة في اذنه : سنعود إلى الفندق يا فؤاد . لا تخف . لدي من النقود ما يكفينا اجرة الطريق . لن نعود إلى الفندق سيراً على الاقدام .

غير ان فؤاداً لم يجب . لم يستطع ان ينطق بحرف ، فالكارثة النازلة به ربطت لسانه عن الكلام .

وشدت يد لواحظ يده وتمتمت : ستعيد المال اصديقك ان



لم يكن غداً فسيكون ذلك بعد غد ، ما دام صاحب النقود الذهبية صديقك فهو سيمهلك ، ولن يجبرك على تسديد دينه اليوم .

قال بخوف شديد : لواحظ ! .. أنا سارق ..

ووجمت لواحظ ، أو هي تظاهرت بالوجوم .

وتمتمت : ماذا تقول يا فؤاد ؟ . أنت سارق ؟ .

قال : أجل .

– ومن هو ذاك الذي سرقته ؟

– سرقت أموال المصرف الذي أعمل فيه في بيروت .

فتظاهرت بالبلاهة ، وتمتمت : كيف تسرق أموال المصرف في بيروت ، وانت في باريس ؟.

وروى لها القصة .

« أوفدتني ادارة المصرف في بيروت إلى ادارة المصرف في باريس حاملاً ثروة طائلة . أنا احتفظ بحقيبة جلدية في الفندق تحتوي على ثروة عظيمة ، الا انني لا استطيع ان أمس شيئاً منها . فالمال ليس مالي ، انه مال المصرف .

قالت : عليك ان لا تمد اذن يدك إلى هذا المال .

قال : ولكنني مددت يدي اليه ، لقد مددت يدي إلى

الحقيبة وأخذت منها حفنة الذهب ، وقد خيل الي اننا سنربح واعيد الذهب إلى الحقيبة ، الا ان حساب الحقـل لم يطابق حساب البيدر . فخسرنا ، وطـارت حفنة الذهب . غداً سينكشف أمري ويزجون بي في أعماق السجون بين اللصوص السارقين المجرمين .

وأرسلت الراقصة الفاتنة ابتسامة واهية صفراء ويدها لا تنفك تشد يد فؤاد .

وتمتمت : لا تخف . . . لن تصل إلى السجون .

– ولكن . . .

فقاطعته : سنهرب .

واشتد الذعر بفؤاد منصور وكلمة « سنهرب » تلع منه في الاذنين .

وتمتم : نهرب ؟ . . أنا أهرب ؟ . لا . لا يا لواحظ ، الهرب لن يحل المعضلة ، بل هو يثبت الجريمة .

وكأن لواحظ لم تسمع ما قال فتابعت حديثها : نهرب معاً . أنا وانت ، أنا أهرب من زوجي الكهل البليد ، وانت تهرب من العدالة .

فتساءل : إلى أين تريديننا ان نهرب ؟ .

قالت : إلى بلاد الله الواسعة الارجاء . سنعيش بعيداً عن



لبنان ، نعيش معاً عيش الأحبة السعداء الغارقين في بحور الغرام الطامية العاتية المتلاطمة الامواج .

ووقف فؤاد منصور على ذعر : مـاذا تقول لواحظ ؟ . اتريدني مجرماً ، لصاً هارباً من وجه العدالة ؟ .

فتبسمت ، وهمست : اليس الهرب أفضل من القيود الحديدية والاقامة في أعماق السجون ؟

ولم تنتظر جوابه ، فأمسكت بيـده وقادته إلى سيارة « تاكسي » .

وصعد إلى السيـارة فراحت تنهب الأرض بها نهباً إلى الفندق .

وساد الصمت بينها والسيارة تجتاز بها الطريق البعيد بين النادي والفندق ، فلا لواحظ تكلمت ولا فؤاد ، بل هما انصرفا إلى التفكير يغرقان فيه ولا يتكلمان .

ووقفت بها السيارة امام الفندق .

وترجلا . . .

واتجها تواً إلى الغرفة ، إلى غرفة فؤاد .

واوصدت لواحظ الباب وراءها ، وفتحت ذراعيها فارتمى فؤاد منصور بين الذراعين المفتوحتين .

وهمته بقوة إلى صدرها .

وهمست في اذنه : قل لي يا فؤاد ، اين هي الحقيبة ؟

ومد فؤاد يده إلى تحت الوسادة فأخرج المفتاح ليفتح به الخزانة ، ويخرج الحقيبة الجلدية السوداء من الدرج ويلقي بها على السرير متمتماً : هذه هي الحقيبة :

وفتح فؤاد الحقيبة وهو يقول : انظري يا لواحظ إلى ما في هذه الحقيبة .

ونظرت لواحظ..

ودهشت الراقصة الحسناء، وعيناها تقعان على بريق الجواهر والذهب والماس ، وعلى الاوراق النقدية الكبيرة الوافرة .

وزمت شفتيها لتطلق صفير الدهشة والاستغراب وهمست : ما هذا يا فؤاد ؟

قال : هذا الكنز الثمين ليس ملكي . انه ملك المصرف الكبير . وأنا قد اختلست حفنة ذهب منه وسأصل حتماً إلى السجن اذا لم أعد المال المختلس .

قالت : مجنون ..! الحمل مثل هذه الثروة الطائلة وتخاف الوصول إلى السجون ؟ يا لك من غبي.

فتمتم فؤاد : ايخيل اليك ان هذه الثروة ملكي يا لواحظ ؟





قالت : ما دامت بيدك فهي ملكك . هذه الثروة الطائلة ستكفينا مدى الحياة . تعال . تعال اضمك إلى قلبي يا حياة قلبي وروحي .

وطوقته بذراعيها ...

والتصق جسدها الحار بجسده الملتهب .

وانهالت عليه بالقبل المحمومة

وبدأت بنزع ثيابها ...

هذه الليلة من ليالي الهوى والحب والغرام الخالدة .

ستنام ؟ .. لا لن تنام . ستسهر حتى بزوغ الصباح ، ومع الصباح ستهرب ..

ستهرب مع حبيبها فؤاد منصور والحقيبة المطبقة على الثروة العظيمة ، إلى بلاد الله الفسيحة الرحبة الواسعة الأرجاء»

***

ومضت هيام في الكلام راوية لصديقتها هدى جميع التفاصيل، تفاصيل جريمة خطيبها الخائن فؤاد منصور .

قالت : واختفى فؤاد يا هدى .

واختفت لواحظ .

واختفى معها أيضا سليم الجواد ، زوج الراقصة لواحظ .

وعلم مدير المصرف في بيروت ان الحقيبة الجلدية السوداء لم تصل إلى المصرف في باريس .

وان فؤاداً منصور لم يصل ايضا إلى المصرف فقلق كل القلق على الحقيبة ، وعلى الموظف الأمين الذي اختفى بدون ان يترك وراءه أي أثر .

وطار المدير إلى باريس والقلق يعصف به ، وقد خشي ان يكون فؤاد ، وهو الموظف الامين النشيط المستقيم ، قد تعرض لسوء .

واتصل المدير اللبناني بزميله المدير الفرنسي ، واتفق المديران على تكليف رجال الأمن بالبحث عن فؤاد منصور الذي ضاع اثره وضاعت معه الحقيبة المطبقة على ثروة طائلة .

واقام المديران الدعوى على مجهول اتهماه باختطاف فؤاد منصور وبالأستيلاء على الحقيبة التي يحملها فؤاد .

وبدأ رجال الأمن بحثهم وتحقيقهم .

فعلموا ان فؤاداً وصل إلى الاراضي الفرنسية ، وانه نزل في فندق فخم في باريس .

اذن .. اذن ماذا ؟ .

اذن اذا كان ثمة من اختطاف ، فأن الاختطاف قـد تم في



باريس .

ومضى رجال الامن في التحقيق فعلموا ان الموظف النشيط كان على علاقة متينة الاركان براقصة عربية .

وانه كان يقامر بمبالغ ضخمة ..

وبعد ان كان البحث مستمراً عن المجهول الذي اختطف فؤاد منصور ، تحـول التحقيق إلى البحث عن فؤاد منصور نفسه .

وبدأت المطاردة ... مطاردة فؤاد منصور المختلس الهارب وعشيقته الراقصة لواحظ .

ووزعت صور فؤاد منصور على جميع خفراء الحـدود الفرنسيين .

واصدرت النيابة العـامة مذكرة بحق فؤاد ، وصدرت الاوامر بالقبض عليه : هذا الرجل محتـال كبير ، ومختلس لص ، شرير ، يجب القبض عليه .

الا ان رجال الامن عجزوا عن اعتقال فؤاد .

فهو قد طار بين الارض والسماء .

وفؤاد كان قد استبدل اسمه قبل ان يكتشف سره .

وفي حين كان رجـال الأمن الفرنسيون يبحثون عنه ، عن رجل اسمه فؤاد منصور ، كان ذلك الرجـل قد نزع عنه اسم

فؤاد منصور .

كان فؤاد ولواحظ قد توصلا إلى الحصول على بطاقتي هوية مزورتين وعلى جوازي سفر مزورين ، وقد استطاع فؤاد ان يحصل على الجوازين والبطاقتين لقاء مبلغ كبير من المال .

فهو غني ، وماله يكفل له الحصول على كل ما يريد .

اما زوج لواحظ ، سليم الجواد ، فقد نفحته الزوجة المصون بمبلغ من المال ، واعادته إلى لبنان بالسلامة .

وغرق فؤاد منصور في حب الراقصة لواحظ ، فهو لا يرى من دنياه الا ابتسامتها الوضاحة ، وحبها الجارف ، الطامي الهادم الرهيب .

وبدأت لواحظ تبتز اموال فؤاد منصور .

امواله ؟ ..

لا .. بل اموال المصرف اللبناني التي استولى عليها فؤاد .

وانغمس فؤاد في الرذيلة والفسق والفجور .

وسار شوطا بعيداً في طريق الشر .

فراح ينفق على خليلته الراقصة بسخاء ما بعده من سخاء .

وعاش وإياها عيش الاغنياء الكبار متنقلا من مدينة إلى مدينة .



واطلق على نفسه لقب « امير » فسكان اذا ما حل في فندق أسرع الخدم لاستقبال « البرنس » ، وعقيلته « البرنسيس » الرائعة الحسن والجمال .

وينثر « البرنس » بين ايدي الخدم المال فيتفانون في خدمته وفي خدمة عقيلته « البرنسيس » المصون .

وتناسى فؤاد منصور كل شيء .

تناسى مركزه ، وسمعته ، وكرامته ، وشرفه ، وخطيبته القائمة منه على لوعة وشجن وحنين وانتظار .

وعزم على قضاء الحياة مع لواحظ الحبيبة .

كل امانيه في الحياة ان يظل قرب لواحظ .

وبدأت الثروة تنذر بالنضوب على وفرتها .

ومع نضوب الثروة بدأ حب فؤاد منصور ينضب في قلب لواحظ .

وبدأت الراقصة لواحظ تمل الحياة قرب فؤاد منصور ، لا سيا وهي قد ابتزت كل ما يحمل في الحقيبة الجلدية السوداء من جواهر وذهب ومال ، ولم تبق منه سوى على القليل القليل .

وحطت بهما الرحال في مدينة « نيس » الفرنسية .

وحل « البرنس » و « البرنسيس » في فندق فخم أنيق من فنادق تلك المدينة الفرنسية الجميلة .

وفي نفس الفندق ينزل شاب عربي ثري . انه نجل احد الامراء العرب الاثرياء .

وشاهد الشاب العربي لواحظ الحسناء فأعجب بجمالها الشرقي وبقوامها الرشيق ، وبشعرها الاسود الطويل المسدل على كتفيها ، وبعينيها النجلاوين ، وبشفتيها القرمزيتين وبرشاقتها واناقتها ولطفها .

وتم التعارف بسرعة فائقة بين نجل الامير العربي الشاب ، الطويل القامة ، الاسمر البشرة ، الحاد النظرات وبين لواحظ الحسناء .

وبعد التعارف ، الصداقة ..

وماذا بعد الصداقة ، غير التقارب العاطفي الروحي ؟.

ورأت لواحظ في الشاب العربي كل أمانيها العذاب .

فهو غني ، وقوي ، وجميل .

وماذا تريد لواحظ الحسناء غير هذا .

وبدأت تميل اليه ، إلى نجل الامير .

بدأت تجنح عن حب فؤاد منصور إلى حب الشاب الاسمر الغني الانيق .

وكما كانت لواحظ تهرب من سرير زوجها إلى سرير فؤاد



منصور في باريس ، اخذت تهرب من سرير فؤاد منصور إلى سرير الشاب العربي في « نيس » .

غير ان فؤاداً ليس سليم الجواد .

واذا كان سليم الجواد قد تغاضى عن تصرفات وتهتك زوجته ، فان فؤاد منصور لا يتغاضى عن تصرفات عشيقته ولا هو يغض الطرف عن تهتكها .

وكان الشاب العربي قد انشأ صداقة متينة مع فؤاد ، والصلة بين فؤاد ونجل الامير كانت لواحظ .

وكانت لواحظ توهم فؤاداً ان الشاب الأسمر الثري صديقه وصديقها ، وليس ثمة ما يربط بينه وبينها غير الصداقة البريئة .

وكل ليلة يدعو نجل الأمير صديقه الحميم فؤاداً وصديقته لواحظ إلى مائدته فيتناولون طعام العشاء ثم يقومون بجولة في ملاهي « نيس » ومراقصها .

ويعودون إلى الفندق ليتناولوا القهوة أو كأساً من الخمر .

ومع القهوة ، أو مع الخمر ، حبة مخدر تلقي بها لواحظ خلسة في كأس عشيقها فؤاد منصور .

ويدخل نجل الأمير إلى غرفته ، وتدخل لواحظ وفؤاد إلى غرفتها .

وينام فؤاد منصور ..

ويستغرق في نوم سحيق عميق بعيد .

وتتسلل لواحظ من غرفة عشيقهـــا « القديم » إلى غرفة عشيقها الجديد .

وتدور فصول التمثيلية المأساة كل ليلة بين الغرفتين ، غرفة فؤاد وغرفة الشاب الامير الثري .

والممثلة واحدة ... انها الراقصة لواحظ .

وبدأت الشكوك والظنون تعصف برأس فؤاد منصور وهو يدهم من حين إلى آخر نظرة عميقة ترمق بها لواحظ نجل الامير ، أو نظرة يرمق بها نجل الامير لواحظ .

ومما زاد في شكوكه وظنونه ، هو استغراقه في النوم كل ليلة ، بصورة لم يألفها من قبل .

كان فؤاد يسهر مع لواحظ في غرفتها في الفندق حتى مطلع الفجر البعيد ، فما باله الآن يطبق اجفانه منذ ان يلقي بجسده في السرير ، ويستغرق في نوم أشبه بنوم الاموات حتى ساعة متأخرة من الصباح ؟ .

وشعر فؤاد منصور بأن لواحظ ستفلت منه .

شعر بأن العصفور سيطير من القفص فكاد يجن .



أيضاحي من أجلها بكرامته ، وبسمعته ، وبشرفه ، وبخطيبته فتخونه وتهجره ، وتضحك منه ؟ .

وبدأ يعود إلى رشده .

وأخذ يراقب عشيقته مراقبة شديدة .

وكانت الراقصة لواحظ تعمل جاهدة على اخفـــاء حقيقة حبها للشاب العربي عن فؤاد ، فهي تخشاه وتعلم أي مصير سيكون مصيرها اذا وقف فؤاد على ما بينها وبين ذلك الشاب الاسمر الانيق الثري .

غير ان فؤاداً وقف على كل شيء .

وأيقن « البرنس » ان « البرنسيس » تخونه .

وانها على علاقة أثيمة بذلك الشاب : لواحظ تخلو كل ليلة بذلك الشاب ، بعد منتصف الليل ، وبعد ان يستغرق هو في نومه العميق . فهي تـــترك غرفتها في الفندق لتثب إلى غرفة الشاب القريبة من غرفتها .

تماماً كما كانت تفعل في بدء حبها إياه .

كانت تهرب من غرفة سليم الجواد إلى غرفته هو ، والان تهرب من غرفته هو إلى غرفة الشاب العربي .

وثارت الغيرة قانية حمراء في صدر فؤاد منصور ، وقـــد وصل بتخيلاته إلى هذا الحد .

وهمس في سره : الويل ثم الويل لهـــا اذا صدقت ظنوني وتحققت شكوكي . سأنتقم منها وسيكون انتقامي هائلاً رهيباً مخيفاً .

وبدأ فؤاد يرسم الخطة .

فعزم اولاً على ان يغالب النعاس . هو لن ينام هذه الليلة ، سيسهر حتى مطلـــع الفجر وسيكشف الحقيقة ويقف على كل شيء .

الا انه لم يستطع ان ينفذ خطته تلك الليلة ، ولم يستطع ان يقاوم سلطان الكرى . ما أن استلقى على سريره حتى كان يغرق في النوم العميق .

وفي الصباح ، عندما استفاق ووجد لواحظ تنـام قربه في السرير ، عجب لنفسه : كيف نام ؟ وكيف استغرق في النوم ؟ ولماذا لم يستطع مقاومة الكرى ؟ .

ولاح في رأسه خاطر بعيد : المخدر . . .

اتكون المجرمة الخائنة ، عمدت إلى تخديره ؟ .

كل شيء يجوز . . : فليس ثمة محال عند ابنة حواء .

وعاد إلى رسم خطة جديدة : لن يتناول العشاء الليـلة على مائدة نجل الامير . وهو لن يتناول القهوة أيضـا ، ولا كأس الخمر . سيتظاهر بأنه شرب القهوة أو جرع كأس الخمر الا انه



سيحتال على لواحظ ويعزف عن الشرب .

وسيقاوم النعاس هذه الليلة . لن ينـــام ، ولن يستغرق في نومه .

الليلة ليلة الأنتقام .

سينتقم منها . لواحظ لن تنجو من يده المفتولة القوية اذا ثبتت له خيانتها .

وفي المساء عندما دعاهمـــا الشاب الامير الثري إلى العشاء فوجىء باعتذار فؤاد .

وفوجئت ايضاً لواحظ بالاعتذار .

والح نجل الامير . .

وأصر فؤاد . .

وعندما سألته لواحظ عن سبب اعتذاره قال : انني أشعر بصداع شديد ، اريد ان ارتاح . سأشخص إلى غرفتنا يا لواحظ وأنام .

قالت : أتسمح لي يا فؤاد بأن اتناول طعام العشاء وحدي مع نجل الامير ؟

فتمتم : ولم لا يا لواحظ ؟ ان اكن انا متعبـــاً لا استطيع تناول العشاء ، فما هو ذنبك انت ؟ .

قال فؤاد هذا واسرع إلى غرفته ليستلقي على سريره يدخن ويفكر بحيرة وقلق واضطراب .

ومضت ساعة دون ان تحضر لواحظ:

لا بأس ، فهي ما زالت تتناول العشاء مع صاحب السمو .

ومضت ساعتان ، ولواحظ لم تطـل ، فرأى ان يخرج من الغرفة يستطلع امرها ، وأمر الشاب العربي .

وفيما هو يهم بالوثوب من السرير أطلت لواحظ وبيدهـا كأس خمر .

واقتربت الراقصة الفاتنة منه .

وجلست قربه على السرير وتمتمت : كيف حالك الان يا حبيبي ؟ .

قال : ما زال الصداع يؤلمني يا لواحظ .

قالت : جئتك بقليل من الخمر ، لعـل الخمر يخفف من صداعك .

فهمس : شكراً يا حبيبتي يا لواحظ .

قالت وهي تقدم له الكأس : حرسك الله يا حبيبي ، روحي فداك . خذ تناول ما في الكأس تشف .

وتناول الكأس من يدها ووضعها على المنضدة قرب السرير





هامساً : سأتناول ما فيها بعد قليل . شكراً يا لواحظ .

قالت: كنت أتمنى ان ارافق نجل الامير إلى الملهى الا انني وقد رأيتك متعباً سأعتذر منه واعود اليك .

فهمس : كما تريدين يا حبيبتي .

قالت : دقائق قليلة ، وأكون قربك يا فؤاد .

وخرجت من الغرفة ، فأسرع إلى الكأس يفرغ ما فيها من النافذة ثم يعود إلى السرير .

وبرت لواحظ بوعدها ، فعادت اليه بعد دقائق قليلة .

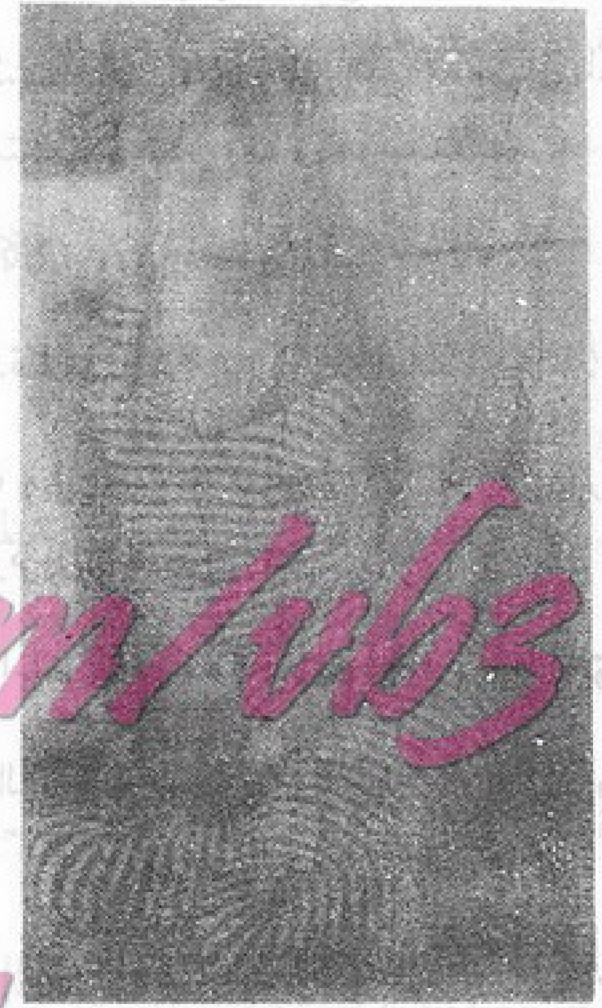
ورمقت الكأس بنظرة سريعة ، فاطمأنت وقد رأتهـا فارغة .

وعادت إلى الاقتراب منه لتجلس قربه على السرير هامسة: كيف حالك الان ؟

قال : صدقت يا لواحظ ، فأنا قد ارتحت بعض الارتياح ، وقد تناولت الخمر ، انني اشعر بنعاس شديد .. اريد ان أنام .

ولمعت الفرحة في عينيها .

وتمتمت : فدتك روحي ... وانا ايضاً سأنام . انني اشعر بنعاس قوي .



ونزعت عنها ثيابها ...

وارتدت ثوب النوم .

واطفأت النور .



واندست في سريرها الوثير القريب من سرير فؤاد .

وتمتمت ، وهي تندس في السرير : « فلتصبح على الف خير يا حبيبي » .

الا ان فؤاداً لم يجب .

وتظاهر بأنه استغرق في نوم عميق كعادته .

وتأكد فؤاد منصور من ان لواحظ كانت تدس له المخدر في الشراب ، وقد رأى النوم يجفوه ، والنعاس يبتعد عنه بعد ان نجا من تناول ما في الكأس من خمر .

وراح يراقب لواحظ ، وهو مستلق في سريره الوثير وكأنه مستلق على شوك وابر . ترى هـل تخرج لواحظ من الغرفة وتدلف إلى غرفة الشاب العربي الوسيم الذي يقيم في الغرفة المجاورة ؟

من المؤكد انها ستخرج بعد قليل ... فلينتظر ويتأكد .

وانتظر فؤاد ...

الا ان لواحظ لم تتحرك. فهي غارقة في سريرها ويلوح له انها في سبات سحيق عميق .

ومضت الدقائق ، وكأنها ساعات ، عند فؤاد منصور .

وانتصف الليل ، ولواحظ ما برحت في غفوتها الهانئة ...

وهمس فؤاد منصور في سره : مسكينة ... لقد ظلمتها .. فهي لم تخرج من الغرفة . لقد استغرقت في النوم . خيل الي انها خائنة فاذا بها مخلصة وفية ، يا لقلوب العاشقين الغيرى ، الحيرى ، التي تغمرها الشكوك وتعصف بها دياجير الظنون .

وفيما فؤاد منصور يمضي في الاستسلام لأفكاره البيضاء ، تحركت لواحظ في سريرها على مهل .

وحبس فؤاد انفاسه ..

وراح يخترق الظلام الواهي ، الغامر الغرفة الانيقة ببصره المتقد .

فرأى لواحظ تستوي في السرير .

وراحت تحدق بسريره .

وتأكدت من انه ينام ملء عينيه ...

فنهضت على مهل وحذر .

واقتربت من سريره ، ووقفت قربه لتزداد تأكداً من انه غارق في نومه :

وازدادت تأكداً . فهو لا يبدي حراكاً . لقد عصف به المخدر فأنهكه وأضاعه ، والقى به في احضان الكرى العميق .
وارتدت الراقصة لواحظ معطف النوم الأحمر القاني .





وسارت حافية على رؤوس أصابعها إلى الباب وهي تحاذر إيقاظه .

وبكل حذر ايضاً ، فتحت الباب وخرجت .

وعصفت نار الغيرة في قلب فؤاد منصور ، فكاد يذوب تحت سعيرها ولظاها .

وتحولت الغيرة في قلبه إلى ثورة غضب لاهبة حمراء .

وهمس في سره : يا لها من مجرمة ، خائنة ، شريرة .. الويل ثم الويل لها .

وأحس بعاصفة عاتية ، هوجاء تجتاح كيانه فتهزه هزاً وتقذف به من السرير .

وأسرع إلى الخنجر المصقول الذي اعده للانتقام ينتضيه . ويسير في اثر لواحظ .

واتجه تواً إلى غرفة الشاب الاسمر الثري ، إلى غرفة نجل سمو الامير .

وكان النور الاحمر الواهي الضئيل ينبعث على وهن من ثقب باب الغرفة ، فانحنى فؤاد على الثقب يخترق ببصره من وما في الغرفة .

وشاهد ، عبر الثقب الصغير ثوب لواحظ الاحمر القاني يرتمي

فوق المقعد القريب من السرير .

وجن ...

ورفس الباب ، بقوة هائلة بعثها الغضب الشديد في جسده .

واقتحم الغرفة كالعاصفة الغاضبة الهوجاء .

وارتد مذعوراً وعيناه تقعان على عشيقته الراقصة ، عارية في سرير الشاب العربي .

انه المشهد نفسه الذي كانت تمثله معه .

وهو المشهد نفسه الذي تمثله لواحظ مع كل عاشق جديد .

وذعرت لواحظ ..

وعقد الخوف لسانها فلم تستطع النطق بحرف ، بل هي أخذت ترتجف كأنها ورقة خريف في مهب الرياح ، وقد زادها الخنجر اللامع في يد فؤاد خوفاً وذعراً .

وذعر ايضاً الشاب الاسمر الوسيم ، فوثب من السرير عارياً وأخذ يصرخ ويستنجد ، وقد شاهد الخنجر المصقول في يد فؤاد ، والغضب اللاهب الشديد في عينيه .

وأطبق فؤاد منصور على عنق لواحظ .

وراح يحز الخنجر المصقول على عنقها العاجي الجميل .

وأخذت لواحظ تسترحم وتستعطف : « فؤاد ! .. حبيبي





فؤاد ! .. حرام عليك . ألست أنا حبيبتك لواحظ ؟ . لا تذبحني يا فؤاد » ..

غير ان فؤاد لم يستمع إلى استرحامها واستعطافها : هذه المرأة سبب بلواه ، ونكبته . لولاها لظل ناصع الجبين نظيف الكف ، يرتع في الشرف الاثيل والكرامة المنياف .. السجن مشرع الابواب لأستقباله . فهو مرشح للدخول إلى السجن بتهمة الاختلاس ، اختلاس اموال المصرف الذي كان موظفاً اميناً فيه ، في بيروت ، غير انه لن يدخل ابواب السجن بتهمة الاختلاس فحسب ، بل هو سيدخل تلك الابواب بتهمة القتل ايضاً .. لواحظ يجب ان تموت . لقد أصدر الحكم عليها ، ونفذه .

وعندما وصل خدم الفندق ورجال الشرطة كان فؤاد منصور قد ذبح عشيقته لواحظ ، وانتهى الأمر .

اما نجل الأمير ، عشيق لواحظ الجديد ، فقد لاذ بالفرار ونجا من خنجر فؤاد .

واطبق رجال الشرطة على فؤاد منصور يكبلونه بالحديد ويقودونه إلى القضاء .

وفي قصر العدل الفرنسي ، في ساحة القضاء ، وقف المختلس القاتل يروي قصته المؤلمة الدامية للقضاة :

— « انني مجرم . لن أحاول الدفاع عن نفسي وليس ثمة مجال للدفاع . هجرت خطيبتي الطاهرة كالورود النقية كزنابق لبنان الناصعة البياض . وسرقت اموال المصرف ، ولحقت بتلك المرأة الساقطة المجرمة فابتزت الاموال مني وخانتني فقتلتها . انا مختلس قاتل مجرم شرير » ..

وكان اعترافه صريحاً ..

فقضت محكمة الجنايات الفرنسية باعدام فؤاد منصور .

★★★



ووجمت هدى نواف ، وقد وصلت صديقتها هيام الرئبال بالقصة عند هذا الحد .

وذعرت وهي تسمع ان محكمة الجنايات الفرنسية قضت على فؤاد منصور بالاعدام ، فتمتمت متسائلة : هل مات فؤاد ؟ .. اعدموه ؟ .

وطفت على شفتي هيام الرئبال ابتسامه خبث ومكر ودهاء . وهمست : انت ما زلت تحبينه يا هدى .

وصمتت هدى .. لم تجب بحرف .

وتابعت هيام حديثها قالت : لا .. لم يمت فؤاد ، لم يعدموه فقد ابدلت المحكمة حكم الاعدام على فؤاد بالسجن المؤبد ، ثم ابدلت الحكم المؤبد بالسجن مع الاشغال الشاقة مدة عشرين سنة نظراً للاسباب التخفيفية ، ذلك لأن المحكمة رأت ان فؤاد كان في ثورة غضب شديد عندما فتك بلواحظ ، وليس ثمة قصد ولا تعمد . ونجا فؤاد منصور من الاعدام الا انه لم ينج من السجن فأقام في السجن الفرنسي المظلم ، القاتم السواد ، يبكي حظه التعس البائس المنكود ، ويكفر عن جريمته ، أو بالاحرى هو يكفر عن جرائمه العديدة .



جريمة الاختلاس ، وجريمة القتل ، وجريمة الخيانة .

ولعل أروع وأشد تلك الجرائم هي جريمة الخيـــانة التي ارتكبها بحقك يا هـدى ، وهو الذي قضى على مستقبلك وعلى قلبك ، وعلى حياتك التي اطفأ فيهـا جذوة الراحة والسعادة والهناء » .



وبدأت الدموع تتدحرج على خدي هدى نواف وقد وقفت على تفاصيل المأساة .

هذه القصة الدامية المؤلمة التي روتها هيام الرئبال على مسامعها اعادت إلى قلبها الحنين ، والى روحها الشوق ، والى مخيلتها ذكريات الماضي واحلامه الوارفة وامانيه العذاب.

# ٥

هدى نواف ما برحت في جلستها المؤلمة الموجعة قرب الموقد المتقد المسعير ، تستعيد ذكرياتها الدامية . وتسمع الليل البعيد آهاتها وأناتها وزفراتها المحرقة اللاهبة .

وتمثلت لها صديقتها هيام الرئبال وهي تروي لها قصة فؤاد، كيف هرب .. وكيف تعرف بالراقصة لواحظ ، وكيف اختلس اموال المصرف .. وكيف فتك بعشيقته لواحظ .. وكيف حوكم .. وكيف سجن .

ومرت في مخيلتها تلك الذكريات الزاحفة اليها عبر السنين

الطوال ، عبر عشرين سنة ، مرت في حياتها ، كما تمر في حياة البشر كوميض البرق .

وعادت هدى لتتمتم وهي تصطلي بنار الموقد اللاهبة : اين تراه يكون الان ؟ اما زال في السجن ؟ .

وكان قرع الاجراس لا يزال يدوي في مسمعها فتعيد صداه الاودية والجبال حنيناً واشواقاً ، ورهبة وخشوعاً .

وهمست هدى : « الليلة ، ليلة العيد ، في مثل هذه الليلة منذ عشرين سنة كان هنا .. اين تراه الآن يا رب ؟ » .

وفي هذه الاثناء ...

فيما هدى نواف مستغرقة في تفكيرها العميق ، السحيق البعيد القرار ، كان ثمة رجل في حديقة القصر يسير بخطى ثقيلة باردة ، واهية .

وكان الالم العميق يخط في جبينه وخديه سطوراً بارزة سوداء ، والشيب بدأ يغزو لمتيه .

كان ذلك الرجل هزيل الجسم ، رث الثياب ، مشعث الشعر .





وكان الرجل البائس الحزين يقف من حين إلى آخر محاولاً الوثوب بنظره من نوافذ القصر العالية المغمورة بالثلوج البيضاء إلى داخل القصر ليشاهد من فيه فلا يرى الا الضياع .

وكان الليل البهيم يرخي سدله على القصر وعلى الحديقة ، وعلى كل ما يحيط بالقصر وبالحديقة .

والقمر يتبختر على مسرح الفضاء ، الواسع الرهيب فتحجبه الغيوم حيناً ثم تنقشع احياناً مفسحة لنوره الفضي الواهي الطريق إلى الارض .

والبرد قارس شديد ..

وكانت العاصفة العاتية الهوجاء قد سكنت ، الا ان النسمات الباردة كانت تهب على اغصان الاشجار العارية فتتراقص تلك الاغصان بين ايدي النسمات الخافتة الباردة .

ووقف الرجل التائه الشارد ، امام نوافذ القصر .

واذا بالدموع تغمر عينيه لتتدحرج على خديه.

واذا بشفتيه تتمتمان : « منذ عشرين سنة ، كانت هنا ، وكنا حبيبين سعيدين . اين تراها تكون الان يا رب » ؟

وعاد إلى السير بوهن وضعف ، وعياء .

وهمس في سره : اريد ان اراها .. ان اراها فقط ، ان اطفيء لهيب شوقي اليها » ..

ووقف امام الباب حائراً متردداً : كل ما هناك يشير الى ان القصر مهجور . ليس ثمة سوى نور ضئيل ينبعث من نافـذة احدى غرف القصر ليتكسر فوق الثلوج .

لقد كان هذا القصر ، منذ عشرين سنة يزدحم بالخدم وبأصحابه ، وها هو الان يبدو ساكناً هادئاً لا صوت انسان ولا مواء هر ، ولا نباح كلب .

ومد يده محاولاً قرع الجرس ، الا انه تردد .

وعاد الى التفكير ينغمس فيه على سجن وألم وعياء : هـل يطرق الباب ؟ .

هل يدخل إلى القصر ، ام يعود ادراجه ؟

لا .. لا .. لن يدخل.

لن يطرق الباب .





سيعود من حيث أتى .

ما له ولهذا القصر ، بينه وبين أصحابه وهدة عميقة القرار بعيدة المدى شاسعة واسعة ، لن يستطيع اجتيازها .

فليعد ادراجه ...

وليعش ما بقي من عمره بائساً ، تائهـاً ، شريداً ، طريداً فارغ الجيب ، ليس له ان يدنس عتبة هذا القصر بوطء قدميه . هذا القصر محرم عليه ، بعد ان اساء إلى أصحـابه وانزل بهم الذل والعذاب .

وهمّ بالعودة ..

وتراجع عن الباب .

ولكنه ما كاد يسير خطوات قليـلة نحو باب الحديقة حتى علا نباح الكلب الكبير ، حارس القصر الأمين .

وذعر الرجل ...

وحاول الهرب ، حاول الابتعاد عن الكلب الواثب اليه ، نابحاً مكشراً عن انيابه ، الا ان الكلب لحق به .

وهرول الرجل مسرعاً في الهرب ، وعدا الكلب في أثره ونباحه يمزق هدوء الليل وسكونه .

وأدركه الكلب ، وتعلق بثيابه

ودارت المعركة ضارية بينهما ، بين الرجل البائس والكلب الأمين ، فراح الرجل يدافع عن نفسه ، وعن ثيابه ، وراح الكلب يمزق الثياب بأنيابه محاولاً الوثوب إلى يديه ورجليه ، ووجهه .

وكانت هدى لا تزال جالسة قرب الموقد فنزل نباح الكلب الثائر الغاضب في اذنيها وأدركت ان هناك من تجاوز أسوار الحديقة .

ولكن من هو هذا الذي يقتحم أسوار حديقة القصر في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟ .

وتساءلت : من تراه يكون ؟ .

ونزل صوت الخادم نصور في اذنيها من الحديقة معربداً ، كأنه يجيب على سؤالها: لص ... لص ..

وكان الخادم نصور، ذلك الخادم الامين الذي أبى ان يغادر



القصر ويبتعد عن سيدته هدى ، فظل قربها يقوم على خدمتها ، كان نصور قد استفاق على نباح الكلب فهرول إلى الحديقة معربداً هادراً : لص . لص .. لص ...

ووقفت هدى ..

وأطلت من النافذة لتشاهد كلبها الامين ينهش الرجل النحيل العود ، ونصور الخادم يهرول نحوهما ، نحو الرجل المدافع والكلب المهاجم .

وشاهدت الخادم الامين يبعد الكلب عن الرجل ، ثم يمسك بتلابيبه صارخاً به : ايها اللص !.. ان تكن نجوت من الكلب ، فانت ان تنجو من نصور ، واذا نجوت من نصور فلن تنجو من رجال الامن .

وحاول الرجل الهزيل النحيل الواهي ، التملص من يد نصور فاخفق .

وجر نصور اللص محاولا الدخول به إلى القصر هاتفاً به : سأسجنك ايها اللص في القبو ريثما ينبلج الصباح فأسلمك إلى رجال الامن .

وهمس الرجل ، وقد تعرف إلى الخادم : نصور !. اتركني.

دعني اذهب في سبيلي .. أنا لست لصاً يا نصور .

ودهش نصور الخادم : من هو هذا الرجـــل الغريب الذي يعرف اسمه .

وعاد الرجل إلى التوسل : دعني يا نصور ، دعني وشأني .
ووقف نصور حائراً مدهشاً : هذا الصوت ليس غريباً عنه ، لقد عرف نصور الصوت ، الا انه لم يعرف صاحب الصوت .

وأبى ان يدعه وشأنه ..

واقتاده إلى امام باب القصر ، وراح يتفرس في وجهه على الانوار المنبعثة من داخل القصر لتنعكس فوق الثلوج البيضاء .

ولاح لنصور انه يعرف هذا الوجه ..

لقد شاهده قبل الان ...

ولكن اين ؟ . اين شاهدت هذ الوجه قبل الآن يا نصور ؟ أين ؟ أين ؟ أين .

ولم يستطع نصور ان يذكر اين شاهده ؟ .

وصرخ نصور بالرجل : من انت ؟ .





وأبى الرجل ان يفصح عن اسمه ، أبى ان يقول لنصور من هو .

فهمس : غريب .. غريب مرّ بهذا القصر فأراد أن يحتمي من البرد القارس داخل اسوار هذه الحديقة .

– ولكن كيف ؟ ومن اين عرفت اسمي ؟

وتلعثم الرجل ، الغريب ، ولم يستطع ان يجيب على السؤال المحرج المفاجيء .

وكانت هدى واقفة إلى النافذة تستعرض مــا يدور بين خادمها الامين نصور ، وبين ذلك الرجل .

وشاهدت خادمها يقترب بالرجل من باب القصر ، وانسكبت الانوار المنبعثة من باب القصر على وجه الرجـــل فوجمت ، ودهشت .

وتحولت الدهشة في عينيها إلى دموع .

وهمست ، وهي ترتجف كأنها ورقة صفراء في مهب رياح الخريف : انه هو .. هو نفسه ... أأكون في حلم ؟ . في خيال؟ في خيال ؟ أتراني واهمة ... لا .. لا انه هو هو هو .. فؤاد ..

منصور. فؤاد ..

ومرت لحظات قليلة بهدى كأنها سنة ، كأنها دهر .

واذا بها تهرول مسرعة نحو الحديقة وهي تتمتم : فؤاد ! .. فؤاد ! .. فؤاد ! .

ووصلت إلى الحديقة في حين كان نصور يستجوب الرجل « الغريب » ويسأله : « من انت ايها الغريب ؟ .. من انت ؟ . قل من انت ؟ وكيف عرفت اسمي » ؟

ووثبت هدى نواف إلى « الرجل الغريب » هادرة : فؤاد ! ..

وعندئذ فقط تذكر نصور كل شيء .. وعرف من هو « الرجل الغريب » هذا ...

وضرب نصور كفاً بكف : « قصف الله عمرك يا نصور . كيف غاب عنك اسمه .. كيف غفلت عن معرفة فؤاد منصور » ...

وذعر فؤاد منصور ، وهو يشاهد هدى امامه ..

وارتعش ... وشعر بقشعريرة تسري في دمه وتهزه هزاً



وتعصف باوصاله فتزيدها وهناً على وهن .

وحاول الكلام فعجز .. كانت شفتاه ترتجفان دون ان ينطق بحرف .

وامسكت هدى بيده ..

وقادته إلى داخل القصر .

وسار نصور الخادم وراءهما وقد عقدت المفاجئة لسانه .

وجلست هدى نواف قرب فؤاد امام الموقد تمسح جراحه الدامية ، وتسعفه بالمنعشات .

وساد الصمت بينهما . فلا هدى استطاعت ان تتكلم ولا فؤاد ..

واخذت الدموع تهطل من العيون الاربع ، منسكبة على الخدود .

وطال صمتهما ..

واخيراً ، وبعد صمت طويل وقف فؤاد منصور يهم بالرحيل وهو يمسح دموعه بكفه .

وتمسكت هدى بخطيبها .. خطيبهـــا منذ عشرين سنة
وتمتمت : فؤاد ! . لا تذهبَ ... إبق هنا قربي .

فهمس : لا يمكن يا هدى .. دعيني ارحل .. دعيني ابتعد عنك . انا لست أهلا لك .

فتمتمت ، ويدها تشد يده الباردة المرتجفة : فؤاد ! .. او تعلم كم بكيت ، وكم ذرفت الدموع ، وكم اشتقت اليك .

قال : اعرف يا هدى .. اعرف انك ذرفت الدموع ... انا كنت سبب دموعك ، ودموعك هذه كانت سبب انتقام الله مني . ان دموع العذارى نار محرقة . تكوي الافئدة وتذيب القلوب ، والله سبحانه وتعالى ، يحصي دموع العذارى ليعاقب من كان السبب في انسكابها . دموعك انتقمت مني يا هدى ، والقت بي في اعماق السجون عشرين سنة .

قالت ، وهي تشد يده : اجلس يا فؤاد .. اجلس هنـــا قربي ..

قـــال : لا يا هدى ، اتركيني أعود إلى بؤسي ، وفقري وجوعي ، انا لست اهلا لك يا هدى ، انا مجرم ، خريج السجون ، لقد خنتك ، ودست شرفي وكرامتي ، وعبثت بقلبك الطاهر البريء . انني قاتل ، مختلس ، مجرم ، شرير . دعيني أعد من





حيث اتيت .

فطوقته بذراعيها هامسة : الكريم ، الكريم في الحيـــاة هو من يغفر يا فؤاد ، وانا غفرت لـــك . ان السنين العشرين التي قضيتها بعيدة عنك كانت نارا محرقة ، كانت سعيراً يحرق قلبي ويلتهم فؤادي .

انت لم تكن في السجن وحدك يا فؤاد . أنا ايضاً كنت في السجن ، كان هذا القصر المنيف، الفسيح الارجاء سجناً لجسدي ولقلبي وانت بعيد عني .

اما الان ، بعد ان عدت الي ، فقد انطلقت من سجني المظلم الرهيب ، سأبسط جناحي وأطير ، أجـــل سأطير ، بل نحن سنطير معا في فضاء الحرية ، والسعادة والهيام . هدى ما زالت خطيبتك .. أموالها اموالك ، وقصرها قصرك، وحياتها انت .

هنا سنعيش زوجين سعيدين هانئين إلى ان يضمنا القبر .

فهز رأسه آسفا ليقول : لا يا هدى . ان يقترن اسمي القذر باسمك الناصع البياض ، إن تكوني قـــد غفرت فالله سبحانه وتعالى لن يغفر لي .

قالت : الله غفور رحيم يا فؤاد .

قال : أنا سأسلم نفسي للقضاء اللبناني . لقد اقتص مني القضاء الفرنسي لدم الراقصة لواحظ ، وسيقتص مني القضاء اللبناني لاختلاس أموال المصرف .

فذعرت هدى .. وتمتمت : لا يا فؤاد . لا .. لن تبتعدعني مرة ثانية ، يكفينا بعاداً وعذابا . يكفيني انني حرمت منك عشرين سنة .

فعاد إلى الصمت يلوذ به ، وإلى الدموع يسكبها غزيرة حمراء .

فأمسكت هدى بيده تشدها ، قائلة : سنحتفل غداً بالعيد معا ...

ولم يجب .. بل هو مضى في صمته العميق .

قالت : أتكون جائعا يا فؤاد ؟

فهمس : لا .. لست جائعا يا هدى ، ان الجوع في روحي لا في جسدي .

قالت : اراك متعبا يا حبيبي .. سترتاح الآن ، وغداً سيتم زفافنا وتصبح هدى زوجتك الحبيبة المصون .



ونادت الخادم اليها : تعال يا نصور ، تعال .

وجاء نصور ، والدهشة لا تزال مرتسمة في عينيه : بماذا تأمر سيدتي ؟.

قالت : مر بخطيبي فؤاد إلى غرفة الضيوف ، انه متعب مرهق ، وهو بحاجة قصوى إلى الراحة والنوم.

وسار الخادم نصور ، امام فؤاد منصور إلى غرفة الضيوف وهو يهمس في سره : « خطيبها ؟. الا يزال خطيبها بعد عشرين سنة ؟ .. »

ودخل فؤاد منصور إلى غرفة الضيوف ، وأغلق الخادم نصور الباب وراءه وهو يتمتم : فلتصبح على خير يا سيدي .

ودخلت هدى إلى غرفتها ، واستلقت على سريرها ولكن لا لتنام ، بل لتفكر بالخطيب الحبيب العائد اليها بعد طويل النوى والبعاد .

وراحت هدى ترسم خطوط المستقبل الذي يلوح لعينيها

هانئاً باسماً مخضل الجناح ، وهي مستلقية على سريرها الدافيء :
غداً سيتم زفافها على فواد ، وستطير واياه إلى اوروبا حيث يقضيان شهر العسل .. شهر عسل واحد فقط ؟.. لا ستكون حياتها كلها شهور عسل .

وعندما بزغ الصباح ، وتسللت انواره البيضاء عبر زجاج النافذة أثقل النعاس اجفانها فاستغرقت في نوم هادىء هانىء جميل .

ولم تفق من نومها الا وخيوط الشمس الواهية ، المتسللة من خلال الغمام تنسج وشاحها فوق سريرها .

ووثبت من السرير ، وارتدت معطفها على عجل واسرعت إلى غرفة الضيوف ، إلى حيث يرقد فؤاد .

ووقفت امام الباب تطرقه ، الا انها لم تلقَ جواباً .

وأعادت الطرق .. ولكن دون جــدوى ، فليس ثمة من يجيب .

وفتحت الباب ، ودخلت لتقف على وجل وذعر .





لم يكن فؤاد في الغرفة .

وكان السرير على حاله . مما يشير إلى ان فؤاداً لم يستلقِ عليه ، ولم ينم فيه .

وراحت تجوب انحاء القصر منادية : فؤاد ! .. فؤاد ! .. فؤاد ! ..

ولم تقف له على أثر ، فانتابها الذعر ، وراحت تنادي خادمها الأمين .

واقبل نصور مهرولاً : بماذا تأمر سيدتي ؟ .

قالت : اين هو فؤاد ؟

فتمتم : في غرفة الضيوف ..

قالت : لا .. هو ليس في غرفة الضيوف .

فقلب نصــور شفتيه وهز كتفيه وتمتم : لست ادري يا سيدتي . يبدو انه خرج .

وارتمت هدى على مقعد رجراج وثير والقت برأسهــا بين

يديها على وهن وألم وعياء : أيكون فؤاد قد ضاع منها ثانية ؟ ..

وراحت تفكر : إلى اين ذهب فؤاد ؟ .

ورنّت في خاطرها كلماته : « أنا سأسلم نفسي ، للقضاء اللبناني » ...

اذن ؟ . اذن ماذا ؟ .

اذن فؤاد استسلم لرجال الامن .

ووثبت إلى ثيابها ترتديها على عجل ، وتخرج من القصر تستقل سيارتها الخاصة ، وتطلق لها العنان إلى دار الامن .

ووقفت تسأل الضابط المسؤول : هل قبضتم على رجل اسمه فؤاد منصور يا سيدي ؟ .

ورد الضابط المسؤول : لم نقبض عليه يا سيدتي . فؤاد منصور استسلم فجر اليوم إلى رئيس المفرزة الجنائية . لقد استسلم بملء رضاه ...

قالت : كيف السبيل إلى مقابلته ؟



قال : لا يمكن مقابلة الموقوف يا سيدتي الا بأمر النيابة العامة .

قالت : سأشخص إلى النائب العام أرجوه السماح لي ..

ورد الضابط : اليوم عيد ، انه يوم عطلة يا سيدتي ، لن يكون النائب العام في مكتبه . ستستطيعين ذلك غداً ان شاء الله .

وخرجت هدى من دار الأمن لتتجه تواً إلى دار صديقها المحامي نجيب عساف .

ودهش المحامي عساف ، وهو يشاهد هدى في داره في تلك الساعة المبكرة من الصباح .

وسألها : خير ان شاء الله ؟ . هل جئت تقدمين لي التهاني بالعيد يا هدى ؟

وتمتمت هدى ، وهي تلقي بجسدها الواهي على المقعد الرجراج الوثير : كل عيد وانت بخير يا استاذ نجيب .

وجلس المحامي قربها قائلا : فليمد الله عليك هذا العيد وانت بألف خير .. ولكن قولي لي الآن ، ما بك ؟ ولماذا حضرت الي في هذه الساعة المبكرة ؟ ايكون ثمة ما يقلقك يا هدى ؟ .

قالت : جئتك في طلب .

قال : طلبك على الرأس والعين .. ما هو ؟ .

قالت : خطيبي في السجن ...

ودهش المحامي : خطيبـــك ؟ انت مخطوبة ؟ ومن هو خطيبك ؟.

قالت ، وهي تمسح دمعة بدأت تتأهب للأنحدار على خديها: خطيبي فؤاد منصور .

وازداد المحــامي دهشة واستغراباً ، وهمس : فؤاد منصور الذي اختلس اموال المصرف اللبناني منذ عشرين سنة ؟ الا يزال هذا الرجل خطيبك يا هدى ؟ .

قالت : عاد فجأة ليل امس ، وأشعـل النور الذي خبا في قلبي ، فرأيتني خطيبته . خيل الي ان الحقد تغلب في قلبي على الحب ، وان الكره انتصر في روحي على العـاطفة ، والشعور والحنين ، غير أنني كنت على خطأ ، فلا يمكن للحقد ان ينتصر على الحب ، ولا الكره يستطيع ان يتغلب على العاطفة والشعور .



أرجوك يا استاذ نجيب ان تدافع عنه ، وان تعمل على اعلان براءته ، اريد ان يخرج من السجن ، اريد ان يعود الي .

فقدم المحامي عساف لفافة لهدى ، وأشعل هو لفافة ليسألها: لماذا اعتقل ؟ ولماذا دخل إلى السجن ، هل اختلس مرة ثانية ؟.

قالت : لا .. لم يختلس مرة ثانية ، ولم يعتقل ، لقد استسلم بملء ارادته .

قال المحامي متسائلاً : لماذا اذن يستسلم لرجـال الأمن ان لم يكن مجرماً ؟ .

قالت : لقد حوكم وحكم بالسجن في فرنسا ، لمدة عشرين سنة ، ثم عاد إلى لبنان ، ليستسلم إلى رجال الأمن فيحاكم امام القضاء اللبناني بتهمة الاختلاس . يقول فؤاد انه سجن في فرنسا لقتله عشيقته الراقصة ، وهو يريد ان يسجن في لبنان ليكفر عن جريمة الاختلاس .

فطفت ابتسامة هادئة على شفتي المحامي عســاف ليقول : خطيبك مجنون يا هدى . هو ان يحاكم في لبنان ، ولن يسجن لأنه لا يجوز ان يعاقب مجرم على جريمة واحدة مرتين . فالقضاء الفرنسي الذي حاكمه وحكم عليه بتهمة القتل لا يمكن ان

يكون قد غفل عن تهمة الاختلاس . من المؤكد ان القضاة الفرنسيين اصدروا الحكم عليه في الجريمتين: «القتل والاختلاس» فهو اذن قد نفذ الحكم ، وكفر عن جريمته ، لذلك فان القضاء اللبناني لا يستطيع ان يعاقبه مرة ثانية .

ونفث المحامي دخان لفافته في الفضاء ليردف قائلاً: ولنفرض انه لم يحاكم في فرنسا بتهمة الاختلاس ، فهو لن يسجن في لبنان ايضاً ، ذلك لأن جريمته انقضت بمرور الزمن ، فقد مرت عليها عشرون سنة ، وشملها الزمن بعفوه.

فلمعت الفرحة الهانئة في عينين هدى نواف . وتساءلت: اذن ، سيخرج فؤاد من السجن !

قال : بكل تأكيد .

فعادت إلى السؤال : متى ؟ .

قال المحامي : اليوم يوم عطلة ، انها عطلة العيد ، وغداً ايضاً عطلة العيد ، بعد غد سأبدأ باعداد معاملة اخلاء سبيله ، وانني اؤكد لك ان فؤاداً سيكون خارج السجن قبل انقضاء اسبوع.
قالت : اريد ان اراه . هل استطيع ان اراه غداً ؟





فابتسم الاستاذ عساف وهمس : تستطيعين ان تنتظري ثلاثة أو اربعة ايام ، وتشاهديه في قصرك بالسلامة . اطمئني يا هدى ، فؤاد منصور سيكون عندك خلال ايام قليلة .

واطمأنت هدى ...

واقامت تنتظر لقاء فؤاد، وراحت ترقب عودته اليها بفارغ

صبر : ترى هل يبر الاستاذ نجيب عساف بوعده ويقوم بأعداد معاملة اخلاء سبيل فؤاد قبل انقضاء الاسبوع؟

وبر المحامي عساف بوعده .

وانصرف إلى اعداد المعاملة الرسمية ، لاخلاء سبيل فؤاد منصور .

ولم يلق الاستاذ عساف عناء في دفع المعاملة إلى طريق الموافقة ، فليس هناك ادعاء في لبنان بحق فؤاد منصور ، لان جريمة الاختلاس وقعت في الاراضي الفرنسية ، وحوكم من أجلها وحكم عليه بالسجن ، ولو ان هناك ادعاء بحق فؤاد لما انتظر رجال الامن استسلامه . بل كانوا القوا القبض عليه فور دخوله الاراضي اللبنانية .

وانقضت ثلاثة ايام ، كانت خلالها هدى نواف تشخص كل يوم خلالها إلى مكتب المحامي متسائلة : ماذا يا استاذ ؟ متى يخرج فؤاد من السجن ؟

ويبتسم الاستاذ ويتمتم : اطمئني لن يهرب فؤاد منك ، غداً ، او بعد غد يكون عندك .



وفي اليوم الرابع ، لم ينتظر المحامي حضور هدى إلى مكتبه ، بل هو اتصل بها هاتفياً ليقول : هدى ! . لك البشرى . اليوم سيخرج فؤاد منصور من السجن .

فتساءلت هدى ، والفرحة تغمر فوادها الندي : في اية ساعة سيكون خارج السجن ؟ .

قال : عند الظهر .

قالت : اتسمح لي بمرافقتك إلى السجن لاستقباله .

قال : تعالي .. سأكون في مكتبي بانتظارك الساعة الحادية عشرة .

واسرعت هدى إلى ثيابها تنتقي اجمل ثوب عندها لترتديه ، وتكون في استقبال فؤاد عند باب السجن على اناقة وجمال .

وطارت إلى مكتب المحامي عساف ، ومن هناك ، من مكتب المحامي ، شخصت مع الاستاذ إلى السجن .

وتقدم المحامي نجيب عساف ، من مدير السجن عارضا

عليه امر النيابة العامة باخلاء سبيل فؤاد منصور .

ووقفت هدى قربه ، والفرحة تطل من عينيها الحلوتين .

الا ان الفرحة تحولت في عيني هدى إلى ذعر وهي تسمع مدير السجن يقول للمحامي : فؤاد منصور خرج من السجن يا استاذ .

وتساءل المحامي : كيف يخرج الموقوف من السجن ، وامر النائب العام باخلاء سبيله في يدي ؟

قال المدير : لقد اضطررنا إلى فتح ابواب السجن امامه . فؤاد منصور اصيب ليلة امس بنوبة قلبية شديدة ، فأمر الطبيب الشرعي بنقله إلى المستشفى على جناح السرعة .

وهدرت هدى : في أي مستشفى يحل فؤاد ؟ .

فادرك مدير السجن انه حيال حبيبة او نسيبة . قال اطمئني .. ارجو ان يكون بخير ، انه في المستشفى الحكومي .

ووصلا إلى امام المستشفى ، فاذا باربعة جنود يحملون تابوتا ويخرجون به من المستشفى .



ووقفت هدى نواف على ذعر ، فكأن قلبها انبأها ان خطيبها فؤاداً داخل ذلك التابوت .

ووثبت إلى احد الجنود الاربعة ، وهو يسير مع رفاقه تسأله : من هو الميت الذي تحملون ؟

فأجاب : رجل شريد بائس لا اهل له ، اسمه فؤاد منصور .

— لا اهل له ؟ .. فؤاد منصور ؟ .

وذعرت هدى نواف ... واطلقت صرخة داوية ، ردد ارجاءها الفضاء : فؤاد ! ...

ووثب المحامي اليها يمسك بها ، ويسندها إلى ذراعه ، قبل ان تهوي على الارض .

ثم تقدم من الجنود الاربعة قائلا : نحن اهله .. نحن اقارب فؤاد منصور ، جئنا لاستلام جثته .

اما هدى فلم تفه بكلمة ، لم تستطع ان تنطق بحرف ، لقد خنقتها العبرات ، وحطمت الدموع الغزيرة المنسكبة من عينيها النجلاوين ، الكلمات على شفتيها الباردتين .

***

وكان مأتم فؤاد منصور ، مأتما متواضعا .

وسار وراء النعش إلى المقر الاخير ثلاثة : هدى ، نجيب عساف ، والخادم نصور .

ووري فؤاد منصور الثرى، في مقبرة موحشة كئيبة حزين، تظللها اشجار السرو وتبسط فوق قبورها اغصانها الدائمة الاخضرار.



وشعرت هدى نواف ، وهي تشيع حبيبها فؤاد إلى المقر الاخير ، انها تشيع معه احلامها وامانيها العذاب.

وتلاشت قواها ، والتراب ينهال فوق تابوت فواد . فوقعت فوق القبر تبلله بدموعها القانية الاحمرار وتتمتم «فؤاد ! .. يا حبيبي ! .. سأظل خطيبتك حتى يجمعني الموت بك في العالم الآخر السعيد».

واقامت هدى نواف في قصرها الشاهق المنيف الكئيب تنتظر الرحيل ، تنتظر القطار ، قطار الموت الذي سيقلها إلى لقاء خطيبها فؤاد .

وتجلس على شرفة قصرها كل مساء، تراقب النجوم، وتسألها:



ايتها النجوم التائهة في الفضاء الرحيب ، اين حبيبي فؤاد ؟ ..

وتنسكب الدموع غزيرة على وجنتيها .

هذه الدموع ، دموع العذارى ، التي تحرق القلوب وتدمي الافئدة ، وتنتقم من سافحيها للعذارى الطاهرات .

تمت